دراسات ليتورجية ٥

التسابيح الكنسيّة

الأسقف د. يوحنا يازجي

منشورات مطرانية عكار الأرثوذكسية
أسقفية الحصن - مرمريتا
٢٠٠٦

دراسات ليتورجيّة ٥

التسابيح الكنسيّة

الأسقف د. يوحنا يازجي

منشورات

مطرانية عكّار الأرثوذكسية

أسقفية الحصن - مرمريتا

٢٠٠٦

منشورات
مطرانية عكّار الأرثوذكسيّة
أسقفية الحصن – مرمريتا

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

طبعة أولى
٢٠٠٦

الطّباعة: مؤسّسة دكّاش للطباعة
البوار – لبنان، ٠٣/٦٠٦٣١٠ – ٠٩/٤٤٨٥٤٧

فهرس المحتويات

تقديم ١١
مقدّمة ١٣

الباب الأول: نشأة التسابيح الكنسية وتطوّرها

الفصل الأول: الحقبة الأولى (القرن ١ – ٥ م.) ١٩
أولاً– التسابيح الكتابية ١٩
١– تسابيح العهد الجديد ٢٠
١"– تسبحة والدة الإله ٢٠
٢"– تسبحة زخريا ٢١
٣"– صلاة سمعان الشيخ ٢٢
٤"– مقاطع أخرى ٢٢
٢– تسابيح العهد القديم ٢٤
١"– المزمور ٨١ ..... ٢٤
٢"– تسبحة الفتية الثلاثة ٢٥
٣"– مقطع إشعياء النبي ٢٧
ثانياً– تسابيح أولية قديمة ٣٠
١– رسالة كليمندس أسقف رومة ٣٠
٢– تعليم الرسل الاثني عشر ٣١
٣– الرسالة إلى ذيوغنيتوس ٣٢
٤– التنظيمات الرسولية ٣٣

ثالثاً– الأنديفونات ٣٤
رابعاً– الطروباريات وأنواعها ٣٥
خامساً– طروباريات جديدة لاحقة ٣٧
سادساً– تسابيح كنسية قديمة ٣٩
سابعاً– تسابيح الهراطقة ومواجهة الكنيسة لها ٤٠
ثامناً– طريقة نظم التسابيح الكنسية ٤١

الفصل الثاني: الحقبة الثانية (القرن ٦ – ٧ م.) ٤٣
أولاً– القنداق ٤٣
١– تسميته ٤٣
٢– تركيبه ٤٣
٣– محتواه ٤٤
٤– ميزاته ٤٥
٥– طريقة إنشاده ٤٦
٦– مصادره ٤٦
ثانياً– المديح الذي لا يُجلَس فيه ٤٧
١– تسميته ٤٧
٢– تركيبه ومحتواه ٤٨
٣– الترنيمة: "إني أنا عبدك" ٤٨
٤– أسباب وضع هذا التسبيح ٤٩
٥– قانون المديح ٥٠
٦– الكاتب ٥٠
٧– قيمته الأدبية ٥٢
ثالثاً– أنديفونات وطروباريات جديدة ٥٢

رابعاً– أناشيد وترانيم قديمة ٦٢
خامساً– طروباريات أخرى قديمة ٦٤
سادساً– شعراء هذه الحقبة ٧٦

الفصل الثالث: الحقبة الثالثة (القرن ٨ – ١٠ م.) ٧٧
أولاً– القانون ٧٧
١– تركيب القانون ٧٧
٢– تطريز القانون ٧٩
٣– أوديات القانون ٨٠
٤– التسابيح الكتابية ٨١
٥– أسباب ظهور هذا النمط الشعري الجديد ٨٣
٦– الفروقات الكامنة بين القانون والقنداق ٨٣
٧– مكانة القوانين في العبادة ٨٥
٨– أنواع القوانين ٨٥
ثانياً– ناظمو هذه الحقبة ٨٦

الفصل الرابع: الحقبة الرابعة (القرن ١١ م. وما بعده) ٨٧

الباب الثاني: الشعراء الكنسيون

الفصل الأول: الحقبة الأولى (القرن ١ – ٥ م.) ٩٣
١– مليتون سارذيون ٩٣
٢– كليمندس الاسكندري ٩٤
٣– ميثوديوس الأولمبي ٩٥

٤– غريغوريوس النزينزي ٩٥
٥– سينيسيوس الكيريني ٩٦
٦– نونس البانوبوليتيس ٩٦

الفصل الثاني: الحقبة الثانية (القرن ٦ – ٧ م.) ٩٧
١– رومانوس المرنّم ٩٨
٢– صفرونيوس الأورشليمي ١٠٣
٣– جاورجيوس البيسيدي ١٠٥
٤– سرجيوس بطريرك القسطنطينية ١٠٦
٥– جاورجيوس المرنّم ١٠٦
٦– ضوماتيوس المرنّم ١٠٧
٧– كرياكوس المرنّم ١٠٧
٨– كوكولن ١٠٨
٩– إيليا المرنّم ١٠٨
١٠– أنسطاسيوس المرنّم ١٠٨
١١– كبريانوس المرنّم ١٠٩
١٢– أيوب المرنّم ١١٠
١٣– سمعان الجبل العجيب ١١٠

الفصل الثالث: الحقبة الثالثة (القرون ٨ – ١١ م.) ١١٧
أولاً– الساباويون والسينائيون ١١٧
I- الساباويون ١١٧
١– أندراوس الكريتي ١١٧
٢– يوحنا الدمشقي ١٢٣
٣– كوزما المرنّم ١٣٠

٤– ثيوفانيس الكاتب ١٣٩
٥– استفانوس الساباوي ١٤١
٦– سرجيوس المقدسي ١٤٣
٧– جاورجيوس الأناطولي ١٤٤
٨– أرسانيوس الراهب ١٤٥
II- السينائيون ١٤٧
ثانياً– الستوذيتيون والقسطنطينيون ١٤٨
I - الستوذيتيون ١٤٨
١– ثيودورس الستوذيتي ١٤٩
٢– يوسف التسالونيكي ١٥٣
٣– كليمندس الستوذيتي ١٥٤
٤– كبريانوس الستوذيتي ١٥٥
II- القسطنطينيون ١٥٩
أ– بطاركة ١٥٩
١"– جرمانوس الأول بطريرك القسطنطينية ١٥٩
٢"– طاراسيوس بطريرك القسطنطينية ١٦١
٣"– إغناطيوس بطريرك القسطنطينية ١٦٢
٤"– فوتيوس بطريرك القسطنطينية ١٦٢
ب– رؤساء كهنة ١٦٤
١"– إفرام أسقف كارياس ١٦٤
٢"– مرقس أسقف إيذروندُس ١٦٥
٣"– جاورجيوس أسقف نيقوميدية ١٦٥
٤"– ميطروفانيس أسقف أزمير ١٦٦
ج– أباطرة ١٦٧
١"– يوستينيانوس ١٦٧

٢"- لاون الحكيم ١٦٧
٣"- قسطنطين السابع ١٦٩
د - رهبان ١٧٠
١"- كسياني الراهبة ١٧٠
٢"- سمعان المترجم ١٧٢
٣"- دميانوس الراهب ١٧٣
٤"- سمعان اللاهوتي الجديد ١٧٣
ثالثاً - الإيطاليون ١٧٥
١- جاورجيوس الصقلي ١٧٦
٢- يوسف الناظم ١٧٦
٣- ميثوديوس السيراقوسي ١٨٠
٤- أوريستيس الأورشليمي ١٨١
٥- أرسانيوس الأنطاكي ١٨١
٦- نيلوس رئيس دير كريبتوفاريس ١٨٢
٧- بولس رئيس دير كريبتوفاريس ١٨٣

الفصل الرابع: الحقبة الرابعة (القرن ١١ م. وما بعده) ١٨٥
١- يوحنا مافروبوس ١٨٥
٢- يوحنا زوناراس ١٨٧
٣- يوحنا ثيقارا ١٨٧
٤- ثيودورس لاسكاريس ١٨٧
٥- تقاريظ السبت العظيم ١٩٠

المراجع ١٩٣

تقديم

مناجاة الخالق أسمى تعبير لعلاقة الإنسان بربه، إذ يسجد عند قدميه ويقدّم له مشاعره وعواطفه وكل كيانه في شكر وتسبيح وتمجيد في رعشة قلب منخوس بمحبة الله. أما القلب فإذا ما نُخس بنعمة الله فإنه يذوب انسحاقاً ويفيض تسبيحاً ويتدفق بمواهب وعطايا الله الكثيرة، فينبض قلبه بأحلى المشاعر وأصدقها، ويعبق ذهنه بأطيب الأفكار وأحلاها، ويسطّر قلمه أروع الكلمات وأجملها، ويصدح فمه بأصفى الأنغام، فترى نفسك أمام تسابيح وأشعار ونصوص وكتابات رائعة النظم والجمال واللحن واللاهوت آتية من مطارح السجود الإلهي

التسابيح الكنسية هي تلك النصوص التي جاءت نتيجة خبرة سجود الانسان أمام ربه بالصلاة، وقد تشابكت مع الكتاب المقدس ونصوص الآباء القديسين وتلوّنت بتعاليم الإيمان واقتبست أحلى طرق التأليف والنظم الأدبي وأروعها

وما الدراسة التي بين أيدينا إلاّ لتطلعنا على نشأة هذه التسابيح والأشكال المتعددة التي عرفتها والحقبات التي توالت عليها مع الميزات الخاصة بكل منها. كما أنها تلقي ضوءاً على أهم المؤلفين والناظمين والملحنين

نشكر الله أننا نصدر الجزء الخامس من سلسلة "الدراسات الليتورجية" التي بدأناها في معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - جامعة البلمند، ويكون هذا الجزء هو الخامس من السلسلة نفسها، تحت منشورات مطرانية عكار الأرثوذكسية - أسقفية الحصن - مرمريتا

سائلين الله القوة والتوفيق لإظهار روائع تراثنا الليتورجي – الصلاتي الذي كان لأنطاكية دور واضح ورئيس فيه

بشارة سيدتنا والدة الاله
٢٠٠٦

المطران
يوحنا يازجي

مقدّمة

علم التسابيح الكنسيّة (Hymnology) هو العلم اللاهوتي الذي يبحث في التسابيح الكنسيّة: نشأتها، تطوّرها، أشكالها، معانيها، والكتّاب والشعراء الذين وضعوها... إلخ. إنّه العلم الذي يُدخل الإنسان إلى عالم الروح، فيرفع نفسه بجمال شعره ورونق تسابيحه، التي إنّما هي تعبير عن جمال الروح، التي أبدعها الله، وإيمانها بخالقها، فتسبّحه وتمجّده وتشكره بكلّ قواها متجلّية على صورة خالقها وبارئها الكلّي الجمال والاقتدار

الباب الأوّل

نشأة التسابيح الكنسيّة وتطوّرها

تُقسم التسابيح الكنسيّة إلى أربع حقبات:

١ – الحقبة الأولى (القرن الأول – القرن الخامس):

إنّها حقبة التهيئة للوصول إلى القِمّة والأوج. أخذت التسابيح الكنسيّة تظهر في هذه الحقبة وتأخذ أشكالاً شعريّة تقنيّة. إنّ "الطروباريّة" هي الشكل المعروف في هذه الحقبة

٢ – الحقبة الثانية (القرن السادس – القرن السابع):

إنّها الحقبة التي وصلت فيها التسابيح الكنسيّة إلى أوجّها. والشكل الشعري الرائد فيها هو "القنداق"

٣ – الحقبة الثالثة (القرن الثامن – القرن الحادي عشر):

إنّها حقبة ظهور التسابيح الكنسيّة ذات اللون العقائدي بشكل خاص. والشكل الرائد فيها هو "القانون". يلاحظ بعض العلماء تدهوراً في نظم التسابيح الكنسيّة منذ القرن الحادي عشر وما بعد، ويُعيدون ذلك إلى أنّ الخدم الكنسيّة قد أخذت أشكالها النهائيّة

٤ – الحقبة الرابعة (القرن الحادي عشر – حتى اليوم):

لقد استمرّ نظم تسابيح جديدة حتى بعد اكتمال الخدم الكنسيّة وظهورها بأشكال نهائيّة، وقد ساعد على ذلك تكريس أعياد جديدة في هذه الحقبة، مما اضطُّر إلى وضع تسابيح خاصّة بها

الفصل الأول

الحقبة الأولى (القرن ١-٥ م.)

أولاً: التسابيح الكتابيّة

إنّ العهد الجديد يعطينا معلومات تؤكّد لنا أنّ المسيحيين الأوائل قد استعملوا أناشيد وتسابيح في صلواتهم

فالرسول متّى يقول لنا إنّ الربّ يسوع مع تلاميذه، بعد العشاء السريّ، قد "سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون"[١]، فقد يكونون قد استعملوا مزموراً من العهد القديم. ومن ثمّ، الرسول بولس يقول في رسالته إلى أهل كولوسي: "لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكلّ حكمة معلّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير Ψαλμοί ، وتسابيح Ὕμνοι ، وأغاني روحيّة Ὠδαί Πνευματικαί، بنعمة مترنّمين في قلوبكم للرب..."[٢]. وكذلك في رسالته إلى أفسس يقول: "مكمِّلين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحيّة مترنّمين ومرتّلين في قلوبكم للرب..."[٣]

إنّ هذه التعابير "مزامير – تسابيح – أغاني روحيّة" تُلقي لنا ضوءاً على وجود ترانيم كنسيّة كانت تستعمل منذ نشأة المسيحيّة، وكان أولها كتاب المزامير. وهذا ما يشهد عليه فيما بعد القدّيس يوحنّا الذهبي الفم قائلاً: "في صلوات المساء في الكنيسة إنّ داوود (أي المزامير) يتوارد أولاً وفي المنتصف

(١) مت ٢٦: ٣٠

(٢) كول ٣: ١٦

(٣) أف ٥: ١٩

وفي النهاية. وكذلك في الصلوات السحريّة يرد داوود في البداية وفي المنتصف وفي النهاية. وفي الخدم الحاصلة في بيوت العذارى كذلك يرد داوود أولاً وفي المنتصف وفي النهاية"[٤]

بالإضافة إلى الاستعمال الواسع لكتاب المزامير، فقد استعمل المسيحيّون منذ البدء أناشيد وترانيم روحيّة في اجتماعاتهم الليتورجيّة. وهذا ما تُعرب عنه كلمة "تسابيح" و "أغاني روحيّة" التي هي عبارة عن نصوص شعريّة، على الأغلب، ذات طابع تمجيدي كتلك الأوديات التي وردت في العهد القديم

١ – تسابيح العهد الجديد

إنّ أهمّ التسابيح والأناشيد الروحيّة ذات الطابع الليتورجي والواردة في العهد الجديد هي تسبحة العذراء والدة الإله (لو ١: ٤٦–٥٥)، وصلاة زخريّا (أي الأودية التاسعة) (لو ١: ٦٨–٧٩)، وصلاة سمعان الشيخ (لو ٢: ٢٩–٣٢)

١"– تسبحة والدة الإله

إنّ والدة الإله قد تفوّهت بهذه التسبحة عند لقائها مع نسيبتها أليصابات ردّاً على سلامها "مباركة أنتِ في النساء ومباركة ثمرة بطنك":

٤٦– تعظّم نفسي الربّ

٤٧– وتبتهج روحي بالله مخلّصي

٤٨– لأنّه نظر إلى تواضع أمته فها منذ الآن تطوّبني جميع الأجيال

٤٩– لأنّ القدير صنع بي عظائم، واسمه قدّوس

(٤) P.G. 49, 282

٥٠– ورحمته إلى جيل فجيل للذين يتّقونه

٥١– صنع عزّاً بساعده، وشتّت المتكبّرين بذهن قلوبهم

٥٢– حطّ المقتدرين عن الكراسي، ورفع المتواضعين

٥٣– أشبع الجياع من الخيرات، وصرف الأغنياء فارغين

٥٤– عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمته

٥٥– كما قال لآبائنا لابراهيم ونسله إلى الأبد

(لو ١: ٤٦-٥٥)

٢"– تسبحة زخريّا

إنّ زخريّا الكاهن هو والد النبي يوحنّا المعمدان وزوج أليصابات. وقد بقي عديم النطق حتّى ولادة يوحنّا لأنّه لم يصدّق بشارة الملاك بأنّ امرأته أليصابات ستحبل وتلد له ابناً. وبعد ولادة الصبي وفي اليوم الثامن عندما سمّى زخريّا ابنه الجديد يوحنّا، انحلّت عقدة لسانه وامتلأ من الروح القدس ونطق نبويّاً بهذه التسبحة:

٦٨– مبارك الربّ إله اسرائيل لأنّه افتقد وصنع فداءً لشعبه

٦٩– وأقام لنا قرن خلاص في بيت داوود فتاه

٧٠– كما تكلّم بفم أنبيائه القدّيسين الذين هم منذ الدهر

٧١– بأن يخلّصنا من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا

٧٢– ليصنع رحمة مع آبائنا، ويذكر عهده المقدّس

٧٣– القَسَم الذي حلف لابراهيم أبينا

٧٤– أن نعبده بلا خوف منقَذين من أيدي أعدائنا

٧٥– بقداسة وبرّ قدّامه جميع أيّام حياتنا

٧٦– وأنت أيّها الصبيّ نبيّ العليّ تدعى، لأنّك تتقدّم أمام وجه الربّ لتعدّ طرقه

٧٧– لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم

٧٨– بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المُشرق من العلاء

٧٩– ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يَهدي أقدامنا في طريق السلام

(لو ١: ٦٨-٧٩)

٣"– صلاة سمعان الشيخ

إنّ سمعان الصدّيق قد أُعلم من الروح القدس بأنّه لن يموت قبل أن يرى مسيح الربّ، وهكذا عندما احتضن الطفل يسوع الذي أدخله أبواه إلى الهيكل في اليوم الأربعين، قال هذه الصلاة:

٢٩– الآن تطلق عبدك يا سيّد حسب قولك بسلام

٣٠– لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك

٣١– الذي أعددته أمام وجه كلّ الشعوب

٣٢– نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبك اسرائيل

(لو ٢: ٢٩-٣٢)

إنّ هذه التسابيح قد دخلت منذ البدء إلى الاجتماعات الليتورجية ولا نزال نراها حتّى اليوم في صلواتنا الكنسيّة

٤"– مقاطع أخرى

بالإضافة إلى هذه المقاطع من العهد الجديد، هناك مقاطع أخرى كثيرة في العهد الجديد متأتية، كما يقول الباحثون، من الاستعمال الليتورجي في الكنيسة الأولى، أي إنّها عبارة عن تسابيح وترانيم محدّدة كانت تستعمل في الصلوات الكنسيّة. نذكر من هذه المقاطع:

- رو ١١: ٣٦: **"لأنّ منه وبه وله كلّ الأشياء، له المجد إلى الأبد. آمين"**
- فيل ٢: ٥–١١: **"الذي** (أي المسيح يسوع) **إذ كان في صورة الله / لم يحسب خلسة / أن يكون معادلاً لله / لكنّه أخلى نفسه / آخذاً صورة عبد / صائراً في شبه الناس. / وإذ وُجد في الهيئة كإنسان / وضع نفسه / وأطاع حتى الموت / موت الصليب. / لذلك رفعه الله أيضاً / وأعطاه اسماً / يفوق كلّ اسم. / لكي باسم يسوع / تجثو كلّ ركبة ممّن في السماء / ومن على الأرض ومن تحت الأرض / ويعترف كلّ لسان / أنّ يسوع المسيح هو ربٌّ / لمجد الله الآب"**
- ١ تيمو ٦: ١٥–١٦: **" المبارَك / العزيز الوحيد / ملك الملوك / وربّ الأرباب / الذي وحده له عدم الموت / الساكن في نور لا يدنى منه / الذي لم يره أحد من الناس / ولا يقدر أن يراه / الذي له الكرامة والقدرة إلى الأبد. آمين"**
- رؤ ١٥: ٣–٤: **"عظيمة وعجيبة هي أعمالك / أيّها الرب الإله القادر على كلّ شيء / عادلة وحقّ هي طرقك / يا ملك القدّيسين. / مَنْ لا يخافك يا رب / ويمجّد اسمك / لأنّك وحدك قدّوس / لأنّ جميع الأمم سيأتون / ويسجدون أمامك / لأنّ أحكامك قد أُظهرت"**
- وكذلك المقاطع: متى ١٦: ١٧–١٩، ٢٨: ١٨–٢٠؛ لو ١١: ٢–٥؛ يو ١: ١–٨؛ رو ٧: ٢٤–٢٦؛ ١كور ١٣: ١–١٣؛ أف ١: ٣–١٤، ٣: ٢١، ٥: ١٤؛ كول ١: ١٢–٢٠؛ ١تيمو ١: ١٧، ٣: ١٦، ٦: ١٥؛ ٢تيمو ٢: ١١–١٣؛ تيطس ٢: ١١–١٤؛ رؤ ٥: ٩–١٠، ٥: ١٢، ٥: ١٣

٢ – تسابيح العهد القديم

بالإضافة إلى تلك المقاطع الوارد ذكرها في العهد الجديد والتي كانت تستعمل في الاجتماعات الليتورجيّة كتسابيح وترانيم، هناك بعض التسابيح المتأتّية من العهد القديم، والتي ما زالت في الاستعمال الليتورجي حتى الآن[٥]. هذه التسابيح هي:

١"- المزمور ٨١

هذا المزمور كان وما زال يرتّل في خدمة السبت العظيم، مع إعادة الاستيخن الأخير منه بمثابة اللازمة على كلّ استيخن منه، بالشكل التالي:

باللحن السابع

قم يا الله واحكم في الأرض، فإنّك تملك جميع الأمم

استيخن ١: **الله قائم في جماعة الله يقضي على بَوَاطن الآلهة**

قم يا الله واحكم...

استيخن ٢: **إلى متى تَقضون بالظلم، وتُحابون وجوه المنافقين**

قم يا الله واحكم...

استيخن ٣: **أُحكموا لِلكَسير واليتيم، وأَنْصِفوا البائس والفقير**

قم يا الله واحكم...

(٥) راجع أثناسيوس الكبير، περί φυγῆς, 25 (PG. 25, 670)
الذهبي الفم، موعظة على المزمور ٨١ (PG. 55, 155-167)
غريغوريوس النيصصي، (PG. 46, 552)

استيخن ٤: **نَجّوا الكَسِير والمسكين، وأَنقذوا من أيدي المنافقين**

قم يا الله واحكم...

استيخن ٥: **إنهم لا يعلمون ولا يفهمون. يسلكون في الظلمة فتتزلزل جميع أسس الأرض**

قم يا الله واحكم...

استيخن ٦: **قد قلت إنّكم آلهة وبنو العلي كلّكم**

قم يا الله واحكم...

استيخن ٧: **إلاّ أنّكم مثلَ بني البشر تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون**

قم يا الله واحكم...

٢"- تسبحة الفتية الثلاثة

ترتّل تسبحة الفتية الثلاثة الذين زُجُّوا في أتون النار ونجوا منه، يوم السبت العظيم، وذلك بعد مقاطع العهد القديم وقبل تلاوة نصوص العهد الجديد بالشكل التالي:

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب يا جميع أعمال الرب**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركوا الرب يا ملائكة الرب، وسماوات الرب**

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب يا جميع المياه التي فوق السماوات ويا جميع قوات الرب**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّتها الشمس، والقمر، ونجوم السماء**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب يا جميع الأمطار، والأنداء، ويا جميع الرياح**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّتها النار، واللهيب، والبَرْد، والحرّ**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّها الندى، والجليد، والجَمْد، والبَرْد**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّها الصقيع، والثلج، والبَرْق، والسحاب**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّها النور، والظلام، والليل، والنهار**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّتها الأرض، والجبال، والتلال، وجميع ما ينبت فيها**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب أيّتها الينابيع، والبحار، والأنهار، والحيتان، وجميع ما يتحرّك في المياه**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركي الرب يا جميع طيور السماء، وجميع الوحوش والبهائم**

باركي الرب وارفعيه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركوا يا بني البشر، وليبارِك اسرائيلُ الربَّ**

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركوا الرب يا كهنة الربّ، وعبيد الرب**

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركوا الرب يا أرواح، ونفوس الصديقين، والقديسون المتواضعو القلوب**

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركوا الرب يا حنانيا، وعزريا، وميصائيل**

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **باركوا الرب يا أيّها الرسل، والأنبياء، وشهداء الرب**

باركوا الرب وارفعوه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **نبارك الرب الآب، والابن، والروح القدس**

نبارك الرب ونرفعه إلى كلّ الأدهار

استيخن: **نسبّح، ونبارك، ونسجد للرب**

ذكصا كانين

(دانيال ٣: ٥٧)

٣" ـ مقطع إشعياء النبي

يرتّل في صلاة النوم الكبرى مع إعادة الاستيخن الأول منه بمثابة اللازمة مع كلّ استيخن:

معنا هو الله، فاعلموا أيّها الأمم، وانهزموا

لأنّ الله معنا

اسمعوا إلى أقاصي الأرض

لأنّ الله معنا

أيّها الأقوياء انغلبوا

لأنّ الله معنا

لأنّكم وإن قويتم فستنغلبون أيضاً

لأنّ الله معنا

وأيّ رأي افتكرتم به يلاشيه الرب

لأنّ الله معنا

وأيّ قول قلتموه لا يثبت فيكم

لأنّ الله معنا

أمّا خوفكم فلا نتّقيه، ولا نتزعزع له

لأنّ الله معنا

والرب إلهنا فهو الذي نقدّسه، ويكون لنا خوفاً

لأنّ الله معنا

وإن كنت عليه متوكّلاً كان هو لي تقديساً

لأنّ الله معنا

وأكون عليه معوّلاً فأخلص به

لأنّ الله معنا

هاءنذا والأولاد الذين أعطانيهم الله

لأنّ الله معنا

إنّ الشعب السالك في الظلمة، قد أبصر نوراً عظيماً

لأنّ الله معنا

أيّها السكان في بلد الموت وظلمته، نورٌ يشرق عليكم

لأنّ الله معنا

لأنّه قد وُلِدَ لنا صبيٌ، وابناً أُعطينا

لأنّ الله معنا

وهو الذي رئاسته على عاتقه

لأنّ الله معنا

وسلامه ليس له حدّ

لأنّ الله معنا

واسمه يُدعى رسول الرأي العظيم

لأنّ الله معنا

مشيراً عجيباً

لأنّ الله معنا

إلهاً قوياً مسلّطاً رئيس السلام

لأنّ الله معنا

آب الدهر الآتي

لأنّ الله معنا

المجد للآب والابن والروح القدس

لأنّ الله معنا

الآن وكلّ أوان، وإلى دهر الداهرين، آمين

لأنّ الله معنا

ثمّ يقال من الخورصين معاً:

معنا هو الله، فاعلموا أيّها الأمم، وانهزموا

لأنّ الله معنا

ثانياً: تسابيح أوليّة قديمة

بالإضافة إلى المقاطع التي تكلّمنا عنها في الكتاب المقدّس، هناك مقاطع أخرى واردة في الكتابات الآبائيّة الأولى، تعود، على الأغلب، إلى الاستعمال الليتورجي حيث كانت تستخدم كتسابيح أثناء الاجتماعات الليتورجيّة. هذه المقاطع محفوظة في المصادر الليتورجيّة القديمة. ونذكر منها:

١- رسالة كليمندس أسقف رومة:

في رسالة كليمندس أسقف رومة الموجّهة إلى أهل كورنثوس (والتي كتبت حوالي سنة ٩٦ م. بسبب بعض المشاكل الصائرة فيها) نجد المقطع الشعري المميّز التالي:

"يا من فتح أعين قلوبنا كي نعرفه

إنّك المتعالي الوحيد في المتعالين

القدّوس، والمستريح في القدّيسين

أنت المذلّ تشامخ المتكبّرين

القاضي على أفكار الأمم

أنت الجاعل المتواضعين في الأعالي

والمذلّ المترفّعين (المتعالين)

أنت الذي يُغني ويُفقر

ويأخذ، ويخلّص، ويهب الحياة

أنت المحسن الوحيد للأرواح

وإله كلّ ذي جسد

أنت الناظر إلى الأعماق

ومراقب أعمال الناس

أنت مساعد الذين في الأخطار

وخلاص الذين لا رجاء لهم..."

(المقطع LIX, 3)[٦]

٢- تعليم الرسل الاثني عشر:

نجد في هذا الكتاب مقاطع من أفاشين شكريّة. شكر للإفخارستيّا:

"أولاً عن الكأس:

٢- **"نشكرك يا أبانا لكرمة داود ابنك المقدّسة، التي عرّفتنا بابنك يسوع، فلك المجد إلى الأبد"**

وحول كسر الخبز:

٣- **"نشكرك يا أبانا للحياة والمعرفة التي وهبتنا بيسوع ابنك، فلك المجد إلى الأجيال**

٤- **وكما أنّ هذا الخبز كان منثوراً فوق الجبال، ثمّ جُمع فصار خبزاً واحداً، كذلك اجمع كنيستك من أقاصي المسكونة إلى ملكوتك، لأنّ لك المجد والقدرة بيسوع المسيح"**

(المقطع IX, 2-4)

وكذلك المقطع التالي:

(٦) راجع ترامبلا Τρεμπέλα, Π.' Εκλογή ' Ελληνικῆς ' Ορδοδόζου ' Υμνογραφίας, الطبعة الثانية، أثينا، ص ١٢٩ - ١٣١

٢ – "نشكرك أيّها الآب القدّوس، من أجل اسمك المقدّس، الذي سكن في قلوبنا، ومن أجل المعرفة والإيمان والخلود، الذي عرّفتنا بواسطة يسوع ابنك، فلك المجد إلى الأجيال

٣ – أنت، أيّها السيّد الكليّ القدرة، جبلت الكلّ من أجل اسمك. أنت الذي أعطيت الغذاء والشراب للبشر للبهجة، ليشكروك. ولقد وهبت لنا غذاءً روحيًّا، وشراباً، وحياةً أبديّةً بابنك يسوع

٤ – قبل كلّ شيء نشكرك لأنّك قويّ، فلك المجد إلى الأبد

٥ – أذكر يا سيّد كنيستك لتخلّصها من كلّ شرّ، وتكمّلها بمحبتك. إجمعها من الرياح الأربع إلى الملكوت الذي أعددته لها، فلك المجد إلى الأبد"

(المقطع X,2-5)

٣ – الرسالة إلى ذيوغنيتوس :

نجد في هذه الرسالة بعض المقاطع الشعريّة، نذكر منها المقطع التالي:

"هذا بذاته ابن

أعطي خلاصاً من أجلنا

القدّوس من أجل العصاة

البريء من العيب من أجل الأشرار

العادل من أجل الظالمين

العادم الفساد من أجل الفاسدين

الغير المائت من أجل المائتين"

(المقطع IX, 2)[٧]

(٧) المرجع السابق، ص ١٣٢ – ١٣٣

٤ – التنظيمات الرسوليّة:

هذا الكتاب يعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، ونجد فيه العديد من التسابيح القديمة التي كانت تُستخدم في الليتورجيا، كالتسبحة السَّحَريّة:

"المجد لله في العلى

وعلى الأرض السلام

وفي الناس المسرّة

نسبّحك

نباركك

نشكرك

نسجد لك

نمجّدك

من أجل عظيم جلال مجدك"

(المقطع VII, 47)[٨]

والتسبحة المسائيّة:

"أيّها الأولاد سبّحوا الرب

سبّحوا اسم الرب

نسبّحك

نباركك

نمجدك

(٨) راجع ΒΕΠΕΣ, 2,137

من أجل عظيم جلال مجدك

أيّها الربّ الملك

أب المسيح

الحمل البريء من العيب

الحامل خطيئة العالم

لك ينبغي التمجيد

بك يليق التسبيح

لك ينبغي المجد

أيّها الإله الآب

بالابن

والروح الكليّ القداسة

إلى دهر الداهرين

آمين"

(المقطع VII, 48)

بالطبع، ليس من الأكيد أنّ هذه المقاطع الشعريّة الواردة في هذه المصادر القديمة، كانت تُستخدم كتسابيح طقسيّة في الكنيسة الأولى، أم أنّها كانت عبارة عن صلوات وأفاشين خاصّة ليس إلاّ. ولكن على كلّ الأحوال، فقد كان لهذه المقاطع الشعريّة التأثير الواضح في نشأة التسابيح الكنسيّة فيما بعد

ثالثاً: الأنديفونات

لقد نشأ هذا النمط من التسابيح الكنسيّة انطلاقاً من طريقة ترنيم المزامير. كانت المزامير ترنّم بشكل تجاوبيّ "أنْدِيفُوني ἀντιφωνικῶς"، أي من قِبل

خورصين مع إعادة جملة أو كلمة على كلّ آية بشكل جماعي من قِبل المؤمنين كَلازِمة

من هذه اللازمات، كان: "هلليلويا"، "آمين"، "أعضدني يا ربّ"، "ساعدني يا ربّ"، "استمع لي يا ربّ"، "ارحمني يا ربّ"، "أغفر لي"، "أذكرني يا ربّ"، "إرأف بي يا ربّ"، "خلّصنا يا ربّ"، إحفظني يا ربّ"... إلخ

وهناك مصادر قديمة تشهد على هذا النمط الأنديفوني في الترتيل: والي بيثينية بلينيوس الجديد يذكر في رسالته سنة ١١٢م. إلى الأمبراطور تراجيان (٩٧ – ١١٧ م.) أنّ المسيحيين يجتمعون في صباح الأحد، ويرنّمون للمسيح إلههم ترانيم بشكل أنديفوني

وكذلك فإنّ المؤرّخ سقراط (القرن الخامس) يُعيد الترنيم بشكل أنديفوني إلى القدّيس إغناطيوس أسقف أنطاكية (حوالي +١١٠)[٩]

كما أنّ كلاً من ثيودورس المبسوستي (القرن الرابع)، وثيوذوريتوس قورش (القرن الخامس)، يُعيدان الترنيم بهذه الطريقة إلى الراهبَين الأنطاكيَّين فلافيانوس وذيوذورس[١٠]

رابعاً: الطروباريّات وأنواعها

إنّ اللازمة، التي كانت ترافق الترنيم الأنديفوني، سرعان ما تطوّرت ونمت آخذةً شكل طروبارية صغيرة، أي ترنيمة صغيرة مثل "**المسيح قام...**"، "**بشفاعات والدة الإله...**"، "**خلصنا يا ابن الله...**"، تُرتَّل حتّى اليوم مع آيات من المزامير. ثمّ ما لبثت هذه اللازمات أن نمت بشكل أوسع وتحوّلت إلى

(٩) راجع التاريخ الكنسي VI,8

(١٠) راجع التاريخ الكنسي II,19

ترانيم قائمة بحدّ ذاتها، وهي ما تُعرف "بالطروباريات Τροπάρια"، أي الترانيم التي تؤدّى حسب طريقة ما. (Τρόπος = طريقة، أسلوب). فالطروباريات إذاً عبارة عن مقاطع شعريّة تُرنَّم حسب نغم معيّن

من هذه الطروباريات، قطع "الكاثسماطات Καθίσματα"، التي تُرنَّم بعد تلاوة المزامير والتي تعطي وقتاً للمؤمنين بالجلوس قليلاً، وكذلك قطع "الإستشيرات Στιχηρά"، التي تلي استيخونات من المزامير كما في صلوات الغروب والسَّحر، وقطع "الأبوستيخا Απόστιχα"، التي تُرنَّم بعد قطع من المزامير أو الكتاب المقدّس

إنّ "الأبوليتِيكيا Απολυτίκια" تُعتبر من أقدم أنواع الطروباريات، وقد سُمّيت بهذا الاسم لأنّها تحتوي بشكل مختصر على معنى العيد الجاري، وتُرنَّم قبل حلِّ صلاة الغروب أو السَّحر

تُقسم الطروباريات من حيث مضمونها إلى:

١) "**ثالوثية** Τριαδικά": تتكلّم عن الثالوث الأقدس

٢) "**مجدلية** Δοξαστικά": تسبيح للثالوث أو للربّ يسوع أو للعيد الجاري. وهي مسبوقة دوماً بـ "المجد للآب والابن والروح القدس"

٣) "**والدية** Θεοτοκία": طروباريات تختصّ بوالدة الإله. وعادة تلي "الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين"

٤) "**شهودية** Μαρτυρικά": الطروباريات التي تختصّ بالشهداء

٥) "**صليبية** Σταυροθεοτοκία": الطروباريات الوالديّة التي تُرنَّم يومي الأربعاء والجمعة، لأنّها تُحيي ذكر صليب الربّ مع والدة الإله

أمّا من الوجهة الموسيقيّة فإنها تُقسم إلى:

١) "**أفتوملا** Αυτόμελα" أو "**إيذيوملا** Ιδιόμελα": أي التي تُرنَّم وفق لحن خاص بها دون أن تتبع شكلاً موسيقيّاً معيّناً آخر

٢) "**بروصوميا** Προσόμοια": وهي التي تُرنَّم وفق شكل موسيقيّ محدّد

إنّ الإيذيوملا لا تنحصر ولا تُحدَّد بوزن أو إيقاع معيّن، وهكذا فإنّ كلّ طروباريّة فيها هي شكل بحدّ ذاته لا تُصاغ بناءً عليه طروباريات أخرى. أمّا الأفتوملا فهي موزونة وتتبع نمطاً شعريّاً معيّناً، إنّها الأشكال الأصيلة للبروصوميّات

خامساً: طروباريات جديدة لاحقة

إنّنا نرى اليوم في كتبنا الليتورجيّة طروباريات عديدة، بالإضافة إلى الطروباريات التي ذكرناها، مثل:

١) "**الإفلوجيطاريا** Εὐλογητάρια"

٢) "**الإيباكويي** Υπακοή"

٣) "**الأنافثمي** Αναβαθμοί"

٤) "**الفوطاغوجيكا** Φοταγωγικά"

٥) "**الإكسابوستلاريات** Εξαποστειλάρια"

٦) "**الإيوثينات** Εωθινά"

إنّ هذه الأنواع من الطروباريات قد تكوّنت في مراحل لاحقة، وهي أشكال متطوّرة للطروبارية

١- الإفلوجيطاريا Εὐλογητάρια :

إنّها الطروباريات التي تُرتّل بعد مز ١١٨ "طوباهم" (تبريكات) وقد دعيت بهذا الاسم لأنّ كلّ طروباريّة منها تُرتّل بعد الاستيخن "مبارك أنت يا ربّ علّمني حقوقك" المأخوذ من مز ١١٨ "طوباهم"

هناك تبريكات للقيامة تُرتّل في سَحَر الأحد، وتبريكات للأموات تُرتّل في سَحَر السبت

٢- الإيباكويي Υπακοή :

إنّ الإيباكويي عبارة عن طروباريّة تُرنّم بالتوالي مع أحد المزامير، وكانت نهايتها تُردّد على كلّ استيخن من هذا المزمور من قِبل المؤمنين، وكمثال على ذلك، الطروباريّة التي تُرتّل اليوم في غروب الميلاد "**لقد ولدت أيّها المخلّص في المغارة...**". ومن ثمّ أصبح الإيباكويي، فيما بعد، يُرتّل في بداية خدمة صلاة السَّحَر، الأمر الذي يوضح أنّ الإيباكويي كان الطروباريّة الاحتفاليّة للعيد

٣- الأنافثمي (الصعوديات) Αναβαθμοί :

إنّها الطروباريات التي كانت تُرتّل مع المزامير (١١٩ - ١٣٣)[١١]، والمعروفة بأودية الأنافثمي، ولهذا سمّيت بالأنافثمي، ولكن مع الوقت غاب ترتيل المزامير هذه كليّاً، وبقيت هذه الطروباريات وحدها. إنّها تُنسب إلى القدّيس ثيوذورس الستوذيتي، وتُقسم إلى ثمانية أقسام حسب الألحان الثمانية، ويُرتّل اليوم كلّ قسم منها مع اللحن التابع له في سَحَر الأحد

(١١) إنّها مزامير الكاثسما /١٨/ التي تُتلى في قدّاس البروجيازميني

٤- الإرساليات (الفوطاغوجيكا والإكسابوستلاريات)

Εξαποστειλάρια , Φωταγωγικά :

إنّها طروباريات تُرتّل قبل الإينوس مباشرة، وهي تُسمّى إكسابوستلاريات (أي الإرساليات) نسبة إلى الفوطاغوجيكون (إرساليات النور) الأول "أرسل نورك أيّها المسيح الإله..." من ناحية، ولأنّها تُرتّل في نهاية السَّحَر تقريباً

٥- السَّحَر (الإيوثينات) Εωθινά :

إنّها ذوكصات الإينوس لأيّام الآحاد، وهي إحدى عشرة إيوثينا نسبة إلى أناجيل سَحَر الآحاد الأحد عشر. وهي تُنسب إلى الأمبراطور لاون السادس والحكيم (+٩١٢)

سادساً: تسابيح كنسيّة قديمة

لم يُحفظ من التسابيح العائدة إلى الفترة الكنسيّة الأولى إلاّ القليل منها وذلك لأسباب عديدة، من أهمّها أنّ هذه التسابيح البسيطة كانت تُستبدل وكان يحلّ مكانها تسابيح جديدة أكثر تقنيّة وجمالاً

نجد غالبية هذه التسابيح القديمة، والتي ما تزال في الاستعمال الليتورجي حتّى اليوم، في المصادر القديمة، وبشكل خاص في كتاب "الأوامر الرسوليّة" الذي يذكر التسبحة السَّحَريّة والتسبحة المسائيّة، كما سبق وذكرنا، ونجد في هذا الكتاب أيضاً التسبيح الملائكي أو نشيد الظفر المأخوذ من أشع (٦: ٣):

"قدّوس، قدّوس، قدّوس

ربّ الصباؤوت،

ملآنة السماء

والأرض من مجده،

مبارك أنت إلى الدهور،

آمين"

(المقطع VIII, 12)

وكذلك نجد صلاة المائدة:

"**مبارك أنت أيّها الربّ، يا من تقوتني منذ شبابي...**"

(المقطع VII, 49)

جدير بالذكر أيضاً أنّ كلاً من الترنيمة الفصحيّة: "**إنّ فصحنا المسيح المنقذ...**"، وتسبحة المساء: "**يا نوراً بهيّاً...**"، التي يشهد عليها القدّيس باسيليوس الكبير (حول الروح القدس، ٢٩)، والطروباريّة: "**يا والدة الإله إذ قد لجأنا تحت كنف وقايتك...**"، تعتبر من الترانيم المسيحيّة الأولى القديمة والهامّة

سابعاً: تسابيح الهراطقة ومواجهة الكنيسة لها

لقد لجأ الهراطقة إلى نظم التسابيح الكنسيّة بهدف نشر تعاليمهم ومبادئهم، فإنّنا نعلم أنّ أوريجانس مثلاً قد لجأ إلى الشعر لنشر تعاليمه. وكذلك يقال عن الغنوصي السوري بارذيسان وابنه أرمونيوس إنّهما قد نظما مزاميراً كاملة مؤلّفة من /١٥٠/ مزموراً. وكذلك آريوس فقد نظم مجموعة تسابيح شعرية ضمّنها تعاليمه، وقد عُرفت بـ "ثاليا" Θάλεια = συμπόσιον. وكذلك الدوناتيستيّون في أفريقيا قد وضعوا تسابيحاً خاصة بهم. ويخبرنا سوزمونوس في تاريخه الكنسي أنّ أتباع أبوليناريوس كانوا يستعملون تسابيح خاصة بهم لنشر تعاليمهم[١٢]

(١٢) التاريخ الكنسي، VI,25,4

أمام هذا الاستعمال الواسع للشعر وللتسابيح من قِبل الهراطقة، اضطرت الكنيسة بالمقابل أن تلجأ إلى الشعر، فنرى ظهور تسابيح كثيرة ذات مضمون كنسي غني بمحتوى الإيمان المسيحي وعقائده لمواجهة تعاليم الهراطقة. وقد ساعدت هذه التسابيح كثيراً في نشر مفاهيم الإيمان المسيحي القديمة، وتنشئة المؤمنين تنشئة صحيحة وخاصة الأولاد

وقد كان للرهبان الدور الأكبر في وضع هذه التسابيح الجديدة، فكانت الأماكن الرهبانيّة مراكز تأليف كنسي، وكان النظم الشعري من أهم مشاغل الرهبان[١٣]

ثامناً: طريقة نظم التسابيح الكنسيّة

إنّ طريقة النظم الشعري في اليونان القديم تقوم، كما هو معروف، على ما يسمّى بـ بْرُوسُوذِيا Προσῳδία، أي "النظم الموسيقي القائم بناءً على "المقاطع Συλλαβαί" ونوعيّتها (قصيرة أم طويلة)". وعلى هذا الأساس وُضعت الأوزان الشعريّة اليونانيّة القديمة، كـ: δακτυλικόν ἑξάμετρον، و ἰαμβικόν τρίμετρον، و Τροχαϊκόν، و ἀναπαιστικόν، و منسوبة إلى شاعر يوناني قديم اسمه Ανακρεόντειος ...' إلخ

لكنّ التسابيح الكنسيّة الأولى التي ظهرت كانت بسيطة و لم تعتمد على طريقة النظم الشعريّ هذه، بل استخدمت أوزاناً قائمة على "النبرة Τόνον" وليس على المقاطع، فكانت تسابيح تعتمد على "الوزن النَّبْري μέτρα Τονικά". ولكن فيما بعد، وعندما ظهر في الكنيسة رجال عظام، ظهرت بعض التسابيح القائمة على مبدأ المقاطع، ولكنّها على الأغلب لم تدخل في

(١٣) راجع بيلاجيوس Λαυσαϊκον, PG 34, 1020، حيث يتكلّم عن التسابيح والترانيم التي كانت تُسمع من الأديرة في منطقة نيتريّا

النطاق الليتورجي الكنسي، بل بقيت كعمل شعري شخصي. وكان من الذين نظموا مثل هذه التسابيح كلاّ من كليمندس الاسكندري، وميثوديوس الأولمبي، وغريغوريوس النزينزي، وسينيسيوس الألكيريني... إلخ

فيما بعد، وفي مرحلة متأخّرة، دخل إلى الاستعمال الليتورجي ثلاثة قوانين فقط منظومة على مبدأ المقاطع Προσῳδία. وهذه القوانين هي القوانين الـ ἰαμβικοί لكلّ من عيد الميلاد والظهور الإلهي والعنصرة، العائدة إلى الراهب يوحنا أَرْكلان، الذي يعتقد البعض، أنّ يوحنا الدمشقي هو الذي يختبئ تحت هذا الاسم

الفصل الثاني

الحقبة الثانية (القرن ٦-٧ م.)

إنّ أهمّ ما يميّز هذه الحقبة، التي تبتدىء منذ أوائل القرن السادس الميلادي، هو ظهور نمط شعري جديد وهو ما يُعرف بـ "القنداق Κοντάκιον"

ولهذا فإنّنا سنقوم بدراسة هذا النمط الشعري الجديد الذي تمّ انتشاره بشكل واسع في النظم الكنسي

أولاً: القنداق

١- تسميته:

إن اسم "قنداق Κοντάκιον" متأتٍ، على الأغلب، من الـ الكوُنْدُوس Κοντός، وهو تلك القطعة التي كانت تلفّ عليها الورقة التي كانت تكتب عليها التسابيح. وهناك البعض الآخر الذين يعتقدون بأنّ هذه الكلمة متأتية من مقدّمة القنداق "ἐν κοντῷ"، أي باختصار، التي تقدّم لنا باختصار مضمون القنداق ومحتواه بكامله

٢- تركيبه:

إن القناديق تتألّف بشكل عام من طروباريّة صغيرة بمثابة مقدّمة Προοίμιον أو Κουκούλιον ومن مجموعة لاحقة من الطروباريات التي تبلغ عادة ٢٠ أو ٣٠ مقطعاً، وتسمّى كلّ واحدة منها "بيت Οἶκος"

لقد اختلفت الآراء في مصدر هذه الكلمة "بيت Οἶκος" وفي معناها، فالبعض يعتقدون أنّها متأتية من الاستعمال العبري لفعل οἰκοδομεῖν الذي يستعمل في النظم الشعري أيضاً. آخرون يعتقدون أنّها متأتية من اللغة السريانية وأنّها تعني بيت شِعْر στροφή

أمّا غُوَارْ Goar فإنّه يرى أنّ هذه الكلمة متأتية من الكلمة اللاتينية (سْتانْزا) Stanza التي تعني "بيت شِعْر στροφή"، أمّا بيترا فإنّه يربط هذا التعبير بالكاشماطات ويتساءل إن كان يعني "كرسي" لأنّهم كانوا يجلسون أثناء ترتيل القنداق

٣- محتواه:

إنّ مقدّمة القنداق Προοίμιον عامّة، تذكر عادة باختصار مضمون القنداق، أي الشخص أو الحدث الذي تتكلّم عنه، أمّا الأبيات فإنّها تذكره بأكثر دقّة وتفاصيل. وجدير بالذكر أنّ الأبيات تتماثل في النظم مع البيت الأول فيها وليس مع المقدّمة. وإنّ القناديق تعرض عادة الموضوع الذي تتكلّم عنه (شخص، عيد...) بدقّة وتفصيل، وبشكل قصصي أيضاً، لدرجة أنّنا نرى أحياناً كثيرة حواراً بين الأشخاص الذين لهم علاقة بالحدث الذي تتكلّم عنه بشكل يلفت انتباه السامع

وكمثال على هذا، نورد البيت الرابع من قنداق الميلاد لرومانوس المرنِّم:

هذه الكلمات

تفوّهت بها باستغراب (العذراء)

وبينما هي تبتهل

لعارف الخفيّات

سمعت المجوس

يطلبون الطفل

فللحال

مَنْ تطلبون؟

سرخت الفتاة

فقال لها هؤلاء

أمّا أنت فمن تكونين

حتى تحبلين بمثل هذا؟

من هو والدك؟

من هي والدتك؟

إذ إنّك حصلت أمّاً ومرضعة

لابن دون أب

الذي عندما رأينا نجمه

علمنا أنّه قد وُلد لنا

صبيّ جديد

وهو الإله الذي قبل الدهور

٤- ميزاته:

إنّ ما يميّز القنداق هو:

التطريز: ἀκροστιχίς

اللازمة: ἐφύμνιον أو ἀνακλώμενον

- "التطريز"* (acrostiche) ἀκροστιχίς، أو عنوان القنداق، وهي الكلمة أو العبارة المتكوّنة من مجموع الحرف الأول في كلّ بيت من أبيات القنداق

(*) "تَطْريز" (ضرب من أبيات شعرية، إذا جُمعت حروف أوائلها شكّلت اسم المؤلّف أو المهدى إليه أو رمزاً ما). (قاموس المنهل، لجبور عبد النور وسهيل اوريس، دار العلم للملايين ودار الآداب: بيروت، ١٩٨٣).

إنّ هذا "التطريز" الـ ἀκροστιχίς كان معروفاً قبل وجود القنداق واستمرّ بعده. وإنّه يتضمّن عادة اسم واضع التسبيح (Γερμανοῦ ὕμνος Τοῦ Ταπεινοῦ) . كما أنّه يتمّ اختيار الأحرف الهجائيّة للـ ακροστιχίς كما هو الحال في "المديح الذي لا يُجلس فيه"

- "اللازمة" Εφύμνιον وتُسمّى أيضاً ἀνακλώμενον. إنّها لازمة القنداق، وهي الاستيخن الأخير لمقدّمة القنداق، التي تتكرّر عادة في نهاية كلّ الأبيات. إنّ اللازمة، على سبيل المثال، في المديح هي "إفرحي يا عروساً لا عروس لها" و "هلليلوييا"

٥- طريقة إنشاده:

كان يُتلى القنداق في صلاة السَّحَر، وكان يُرنَّم على الأغلب من قِبل المرتّلين من على الآمبون (المنبر)، وهم حاملون الدَّرج، أو كان يُتلى بترنيم بسيط من قبل الكهنة كما هو الحال في أيّامنا فيما يتعلّق بالمديح. وكان الشعب بكامله يُعيد اللازمة

أخذ القنداق مكان الطروباريات الأخرى، وأصبح محور الترنيم وأساسه، ولكنّه انحصر فيما بعد بسبب ظهور القوانين، وتقلّص إلى أن بقي منه المقدّمة فقط، وقد أعطيت اسم "القنداق". وأخذ يُطلق منذئذٍ اسم "القنداق" على المقدّمة، واسم "البيت" على البيت الأول فقط

أمّا فيما يتعلّق بنغم ترنيم القنداق، فلا نستطيع معرفة ذلك، إذ إنّ أقدم مخطوط لقنداق موقّع على الأحرف الموسيقيّة يعود إلى القرن الثالث عشر، الأمر الذي لا يؤكّد ضرورة استعمال النغم نفسه في القديم

٦- مصادره:

يتساءل البعض عن مصدر القنداق وعن العوامل التي تضافرت لنشأته وظهوره بهذا الرونق الشعري المتكامل الذي يمتاز به

أثبت الباحثون أن نظم القنداق اعتمد على أشعار الآباء القدّيسين وتقاريظهم، أو بالأحرى إنّ "تقاريظ ἐγκώμια" الآباء كانت تلك المرحلة التي مهّدت لظهور القنداق. فإنّ القناديق في جوهرها هي نوع من تقاريظ. ولقد كان لمواعظ القدّيس إفرام السوري الدور الأكبر من بين تقاريظ الآباء في ظهور القنداق. لقد امتازت مواعظ القديس إفرام برونقها الشعري، وهي تشبه القنداق إلى حدّ كبير، ولهذا فليس من الغريب أن نقول إنّ القدّيس إفرام قد ساهم في نشوء القنداق، وخاصة أنّ القنداق قد ظهر أولاً في سوريا، وكان أعظم ناظم لهذا النمط الشعري رومانوس المرنّم

إنّ القناديق الرائعة الجمال لم تظهر، بالطبع، فجأة بل إنّها وليدة تطوّر متواصل للترانيم التي قبل القرن الخامس للميلاد، وممّا لا شكّ فيه أنّها على صلة كبيرة بتقاريظ الآباء التي كان لها دور في تشكّلها

ثانياً: المديح الذي لا يُجلَس فيه

المديح الذي لا يُجلَس فيه هو القنداق الذي يُرتّل لوالدة الإله في سَحَر سبت الأسبوع الخامس من الصوم الأربعيني، وبشكل جزئي في صلاة النوم الصغرى أيّام الجمعة من الأسابيع الأربعة الأولى من الصوم الأربعيني قبل الفصح. إنّه إحدى الخدم الكنسيّة التي لاقت استحساناً شعبياً كبيراً

١- تسميته:

يسمّى هذا القنداق "المديح الذي لا يُجلَس فيه ἀκάθιστος ὕμνος" وذلك لأنّ سكّان القسطنطينيّة قد أنشدوا هذا التسبيح لوالدة الإله وقوفاً عندما نجوا من الفرس ليلة ٨ آب عام ٦٢٦ م.

٢- تركيبه ومحتواه:

إنّ المديح هو القنداق الوحيد الذي بقي بكامله في الخدم الطقسيّة، وهو يتألّف من المقدّمة "**إنّ غير المتجسّد...**" وفيما بعد "**إنّي أنا عبدك...**"، ومن ٢٤ بيتاً تتبع الأحرف الهجائيّة

أمّا الأبيات فهي قسمان: قسم طويل ويتألّف كلّ بيت منها من /١٨/ استيخن وينتهي بالنهاية "**إفرحي يا عروساً لا عروس لها**"، وقسم قصير ويتألّف كلّ بيت منها من /٦/ استيخونات وينتهي بالنهاية "**هلليلويا**"

إنّ الأبيات الـ /١١/ الأخيرة والطويلة تتوجّه نحو العذراء، وهي التي تؤلّف المديح لها، أمّا الأبيات القصيرة ففي غالبيّتها تتوجّه نحو المسيح (C, Q, K, M, X, P, S, U)، والبعض منها نحو العذراء (B, D, T, W)

إنّ هذا التسبيح يُقسم إلى قسمين: الأول، تاريخي (الأبيات A - M) وهو يعرض حوادث الخلاص من بشارة العذراء حتّى دخول السيد إلى الهيكل، أمّا الثاني فلاهوتي (الأبيات N - W) وفيه ينشغل الشاعر في موضوع تجسّد المسيح وخلاص البشريّة

٣- الترنيمة "إنّي أنا عبدك":

إنّ ترنيمة "**إنّي أنا عبدك...**" لا تنتمي بالأصل لهذا التسبيح خلافاً للترنيمة الأخرى "**إنّ غير المتجسّد...**" التي هي المقدّمة الأصيلة لهذا التسبيح الجميل. تظهر العذراء مريم في "إنّي أنا عبدك..." كحامية للمدينة من الأعداء، ولكنّنا لا نجد في المديح أيّة إشارة إلى وقائع حربيّة سوى في البيت Ψ، حيث نقرأ:

"**افرحي يا برجاً للكنيسة لا ينهزم**

افرحي يا سوراً للمدينة لا ينهدم

افرحي يا مَنْ بها يقوم الظفر

افرحي يا مَنْ بها تسقط الأعداء"

وهكذا، فإنّ هذه الترنيمة "إنّي أنا عبدك..." قد أضيفت في مرحلة لاحقة إلى هذا التسبيح، وكان ذلك، على الأغلب، عندما رُنِّم للعذراء "القائدة الحاميّة"، عندما حفظت المدينة من الأعداء المحاربين

٤- أسباب وضع هذا التسبيح:

يذكر التريودي في سنكسار يوم السبت من الأسبوع الخامس من الصوم الأربعيني، أنّ مدينة القسطنطينية قد نجت بأعجوبة من أيدي الفرس، الذين كانوا يحاصرون المدينة بحراً بأسطول عظيم أثناء غياب الأمبراطور هرقل في آسيا الصغرى. ولكن هذا الأسطول الغريب تحطّم وتبعثر أمام هبوب إعصار مخيف بينما كان الشعب مجتمعاً في كنيسة العذراء في فلاشِرْنِس Βλαχέρναι، يرفع التسبيح لها وقوفاً طوال الليل، وكان البطريرك سرجيوس أثناء ذلك على أسوار المدينة يشجّع ويقوّي حماتها. وقد نُسب هذا التسبيح إلى البطريرك سرجيوس لهذا السبب، بالرغم من أنّ السنكسار يذكر أنّ التسبيح رفع للعذراء تلك الليلة و لم يقل إنّه وُضع تلك الليلة. وإنّ هذا التسبيح أقدم، على الأغلب، من هذه الحادثة، فقد وُضع أصلاً لطقس عيد البشارة، ولكنّه خُصّص كتسبيح مستقل للعذراء مريم تحت اسم "المديح الذي لا يُجلس فيه"، منذ ليلة ٨ آب عام ٦٢٦ م.

لقد استعملت هذه الخدمة أثناء فكّ حصار العرب عن مدينة القسطنطينية أيام قسطنطين الرابع Τοῦ Λωγωνάτου حوالي نهاية سنة ٦٧٣ م. وكذلك أثناء فكّ الحصار الثاني للعرب، الذي تمّ أيام لاون الثالث الإيصافري في آب

سنة ٧١٨ م. وقد استعملت أيضاً عند نجاة المدينة من محاربيها أيام ميخائيل الثالث عام ٨٦٠ م. ومنذ ذلك الحين كُرِّس هذا المديح أن يُرنَّم في الكنيسة مع القانون "أفتح فمي..." كخدمة مستقلّة

٥- قانون المديح:

إنّ القانون الذي يُرتّل مع هذا المديح هو من وضع يوسف النّاظم Ιωσήφ Ξένος ὁ Ὑμνογράφος. إنّه منظوم على الوزن "الوتدي"، ιαμβικός ويُرنّم باللحن الرابع. أمّا "تطريزه" فهو:

"إنّك إناء الفرح ولك ينبغي المديح، يوسف"

"Χαρᾶς δοχεῖόν σοι πρέπει χαίρειν μόνη, Ἰωσήφ"

لكن أراميس أوديات هذا القانون، ما عدا أرمس الأودية الرابعة، هي من وضع يوحنّا الراهب، أي الدمشقي، وتعود إلى عيد رقاد السيّدة

يمتاز هذا القانون بالفرح والقوّة والحماس، الناجمة عن قوّة الكلام من ناحية وعن براعة اللحن الموسيقي من ناحية أخرى

٦- الكاتب:

يُنسَب هذا التسبيح لعدّة أشخاص ولا نستطيع أن نجزم بشكل نهائي في حقيقة واضعه

يُنسب أولاً للبطريرك سرجيوس (٦١٠ – ٦٣٨ م.) ولكنّنا لا نجد عبر التاريخ أيّة شواهد على أنّ هذا البطريرك كان شاعراً، بالإضافة إلى أنّه لمن الصعب أن يكون قد وضع مثل هذا المديح المتقن في جماله ليلة فكّ الحصار عن المدينة في ٨ آب ٦٢٦ م.

وينسبه البعض الآخر إلى معاصر البطريرك سرجيوس الشماس جاورجيوس البيسيذي (٦١٠ – ٦٤٠ م.) ولكن هذا أيضاً لم يترك لنا أيّة أعمال كنسية شعرية. إنّه يدعو في كتاباته والدة الإله "العذراء القائدة" ولكن هذا الأمر وحده لا يكفي لنؤكّد أنّه واضع هذا التسبيح

يُنسب هذا التسبيح أيضاً إلى جاورجيوس الصقلي ميتروبوليت نيقوميدية (أواسط القرن التاسع)، وكذلك إلى القدّيس فوتيوس بطريرك القسطنطينية (٨٥٨ – ٨٦٧ و ٨٧٧ – ٨٨٦ م.)، الأمر الذي نرفضه إذ إنّ هذا التسبيح كان معروفاً في الأوساط الكنسيّة، وقد تُرجم إلى اللاتينيّة أيضاً، قبل هذه الفترة من التاريخ

يُنسب هذا التسبيح أيضاً إلى رومانوس المرنِّم (النصف الأول من القرن السادس) ولكن البعض يرفضون ذلك لعدم توافق النمط الفنّي للمديح مع أعمال رومانوس، بالإضافة إلى انعدام أيّ شاهد على أنّه واضع المديح

ينسبه البعض الآخر إلى جرمانوس الأول بطريرك القسطنطينيّة (+٧٤٠ م.) وذلك لتشابه التسبيح مع أعماله وخاصة مقاله عن "رقاد والدة الإله" من ناحية اللغة والأفكار بالإضافة إلى أنّ الترجمة اللاتينيّة (الحاصلة حوالي سنة ٨٠٠ م. من قِبل أسقف إينيتيَّة Ενετία خريستوفوروس) تحمل اسم جرمانوس كناظم التسبيح. ولكن بعض العلماء يرفضون هذا إذ إنّ الاستيخونات الواردة في البيت p، والتي تتكلّم على الفصحاء والأثينائيين، يجب أن تعود إلى وقت مبكّر، إلى أيّام يوستينيانوس في القرن السادس حيث أغلقت بأمر منه المدارس الفلسفيّة في أثينا. بالإضافة إلى أنّ هذا الأمر يتنافى مع ما يذكر التريودي بأن سكان المدينة قد أنشدوا هذا التسبيح لوالدة الإله ليلة فكّ الحصار عن المدينة في ٨ آب ٦٢٦ م.

وهكذا نستطيع القول بأنّ واضع هذا التسبيح يبقى مجهولاً، إذ إنّنا لا نستطيع حتّى الآن أن نؤكّد مَنْ هو بناءً على المعطيات التي بين أيدينا

٧- قيمته الأدبيّة:

يُعتبر المديح قِمَّة في النظم الشعري البيزنطي. إنّه منظوم بناءً على قوانين لها النبرة نفسها ὁμοτονία، ولها عدد المقاطع نفسه ἰσοσυλλαβία، وفي بعض المواقع يتبع مبدأ القوافي المتشابهة ὁμοιοκαταληξία

لغته رائعة الجمال وغنية بالأوصاف والصور. وهكذا فإنّ شكله الخارجي يحمل جمالاً ورونقاً يتناسب مع عمقه اللاهوتي والعقائدي

إنّ جميع الأدباء يقرّون بفصاحة المديح البالغة، وكثرة الصور فيه، التي تتكلّم عن تجسّد الكلمة من العذراء مريم عبر فرح لا يوصف، وابتهاج كبير يعطيان قوة وعظمة لهذا التسبيح

أخيراً، إنّ استخدام هذا التسبيح بكامله في الكنيسة حتّى اليوم (علماً بأنّه القنداق الوحيد الذي حُفظ في الاستعمال الليتورجي بكامله حتّى الآن) ما هو إلاّ دليل على مدى أصالته ودخوله في حياة المؤمنين بشكل فعّال

ثالثاً: أنديفونات وطروباريات جديدة

سرعان ما نما الترنيم في هذه الحقبة، وأخذ أشكالاً جديدة بالنسبة للقرون السابقة. فظهرت، بالاضافة إلى الـ "هلليلويا" التي كانت تُرتَّل كلازمة مع المزامير[١٤]، "ترانيم قصيرة تُرتَّل كلازمة مع المزامير" تُعرف بـ ὑποψάλματα

(١٤) راجع أثناسيوس الكبير، الرسالة إلى مركيلينوس PG, 27, 37

وكانت هذه الأخيرة النّواة التي تشكّلت منها الطروباريات فيما بعد. وفيما يلي جدول بالأنديفونات والمزامير التي كانت تُستخدم حسب تيبيكون كنيسة الله العظمى، القسطنطينيّة، ويعود إلى القرن التاسع[١٥]:

مزمور	١ – ٢	هلليلويا
	٣	أُنصرني
	٤ – ٦	إرأف بي يا رب
	٧ – ٨	ارحمنا يا رب
	٩ – ١٣	هلليلويا
	١٤ – ١٦	احفظني يا رب
	١٧	هلليلويا
	١٨ – ٢٠	استجب لي يا رب
	٢١	هلليلويا
	٢٢ – ٢٣	ارحمني يا رب
	٢٤ – ٢٥	هلليلويا
	٢٦ – ٢٧	ساعدني يا رب
	٢٨ – ٢٩	هلليلويا
	٣٠	أعضدني يا رب

(١٥) راجع ترامبلا، المرجع السابق صفحة ١٦٣–١٦٤
Pitra, Juris cecl. Graec. t, 2, P. 209
Petit, Antiphone, DACL II, 2467

٣١ – ٣٢	هلليلوييا
٣٣ – ٣٤	إرأف بي يا رب
٣٥	استجب لي يا رب
٣٦ – ٣٨	هلليلوييا
٣٩ – ٤٠	استمع لي يا رب
٤١ – ٤٥	هلليلوييا
٤٦ – ٤٧	اشفني يا رب
٤٨ – ٤٩	هلليلوييا
٥٠	أُنصرني
٥١ – ٥٣	اذكرني يا رب
٥٤	هلليلوييا
٥٥ – ٥٦	ارحمني يا رب
٥٧ – ٥٨	هلليلوييا
٥٩ – ٦١	ساعدني يا رب
٦٢	أُنصرني
٦٣ – ٦٤	هلليلوييا
٦٥ – ٦٦	إرأف بي يا رب
٦٧	هلليلوييا
٦٨ – ٦٩	خلصنا يا رب
٧٠	هلليلوييا
٧١ – ٧٢	أعضدني يا رب

٧٣ – ٧٤	هلليلوييا
٧٥ – ٧٦	احفظني يا رب
٧٧	هلليلوييا
٧٨ – ٧٩	اشفني يا رب
٨٠ – ٨١	هلليلوييا
٨٢ – ٨٣	استجب لي يا رب
٨٤	هلليلوييا
٨٥	يرتّل في الغروب (لازمة هذا المزمور هي على الأغلب "استمع لي يا رب" التي ما تزال تستخدم في صلاة المساء حتّى اليوم)
٨٦ – ٨٧	اذكرني يا رب
٨٨	هلليلوييا
٨٩ – ٩٠	احفظني يا رب
٩١ – ٩٣	هلليلوييا
٩٤ – ٩٦	خلصنا يا رب
٩٧ – ١٠٠	هلليلوييا
١٠١	استمع لي يا رب
١٠٢	هلليلوييا
١٠٣	إرأف بي يا رب
١٠٤	هلليلوييا

١٠٥ أعضدني يا رب

١٠٦ هللويا

١٠٧ – ١٠٨ ساعدني يا رب

١٠٩ – ١١٢ هللويا

١١٣ – ١١٦ استجب لي يا رب

١١٧ هللويا

١١٨ (لازمة المحطة الأولى في هذا المزمور هي، على الأغلب، هللويا، والتي ما تزال ترتّل في خدمة الجنّاز حتّى اليوم، أمّا لازمة المحطة الثانية فهي: فهّمني يا رب)

١١٩ – ١٢٤ ارحمني يا رب

١٢٥ – ١٣٠ هللويا

١٣١ – ١٣٣ اذكرني يا رب

١٣٤ – ١٣٥ هللويا

١٣٦ – ١٣٧ إشفني يا رب

١٣٨ – ١٣٩ هللويا

١٤٠ لصلاة المساء (كالمزمور ٨٥)

١٤١ – ١٤٢ استجب لي يا رب

١٤٣ – ١٤٤ هللويا

١٤٥ – ١٤٧ أعضدني

١٤٨ – ١٥٠ أُنصرني

وقد أخذت تحلّ طروباريات قصيرة منذ البدء مكان هذه اللازمة القصيرة المرتّلة مع المزامير. ونذكر مثلاً الطروباريّة الفصحيّة التي تُرتّل مع استيخونات من المزامير والتي تعود إلى القرون الأولى (دون أن نعرف واضعها):

المسيح قام من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت

ووهب الحياة، للذين في القبور

استيخن ١: **ليقم الله ويتبدّد جميع أعدائه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه**

استيخن ٢: **كما يباد الدخان يبادون وكما يذوب الشمع من أمام وجه النار**

استيخن ٣: **كذلك تهلك الخطأة من أمام وجه الله والصديقون يتهللون**

استيخن ٤: **هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ نفرح ونتهلّل به**

ذوكصا

كانين

وقد تشكّلت في هذه الفترة أيضاً الترانيم التي ترتّل مع مزامير في صلوات مساء كل من عيدَي الميلاد والظهور الإلهي، وهي التالية:

في الميلاد:

بعد المجموعة الأولى من القراءات:

طروباريّة (باللحن السادس)

لقد وُلدت أيّها المخلّص في المغارة متنكّراً، إلاّ أنّ السماء كرزت بك للجميع. إذ جعلتِ النجم بمنزلة فم لها، وقدّمت إليكَ مجوساً، ساجدين لك بإيمان، فمعهم ارحمنا

المزمور ٨٦ بكامله

استيخن ١: **الذي أساسه في الجبال المقدّسة. الربّ يحبّ أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب**

وقدّمت إليك مجوساً...

استيخن ٢: **قد قيلت عنك المفاخر يا مدينة الله. اذكر راحاب وبابل بين الذين يعرفونني**

وقدّمت إليك مجوساً...

استيخن ٣: **هوذا القبائل الغريبة وصور وشعب الحبشة**

وقدّمت إليك مجوساً...

استيخن ٤: **هؤلاء قد وُلدوا هناك. وعن الأم صهيون يقول إنسان. وإنسان قد وُلِدَ فيها، والعلي هو الذي أسّسها**

وقدّمت إليك مجوساً...

استيخن ٥: **الربّ يحدّث في كتاب الشعوب. وهؤلاء الرؤساء المولودين فيها. إنّ السكنى فيكِ هي مثل سكنى جميع الفرحين**

وقدّمت إليك مجوساً...

ذكصا كانين، وتعاد الطروباريّة بكاملها

وبعد المجموعة الثانية من القراءات:

طروباريّة (باللحن السادس)

لقد أشرقتَ من البتول أيّها المسيح، شمس العدل العقليّة. ودلّ عليك نجم، أيّها الغير الموسوع أنك موسوعٌ في مغارة. فأرشد المجوس إلى السجود لك. فمعهم نعظّمك أيّها المعطي الحياة، المجد لك

المزمور ٩٢ بكامله

استيخن ١: **الربّ قد ملك والجمال لبس. لبس الربّ القوّة وتمنطق بها فأرشد المجوس...**

استيخن ٢: **لأنّه قد ثبّت المسكونة فلن تتزعزع. عرشك مهيّأ منذ القديم فأرشد المجوس...**

استيخن ٣: **رفعت الأنهار يا رب، رفعتِ الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها من صوت المياه الغزيرة**

فأرشد المجوس...

استيخن ٤: **عجيب طغيان أمواج البحر. عجيب الربّ في العلى. شهاداتك صدقت جداً**

فأرشد المجوس...

استيخن ٥: **لبيتك ينبغي التقديس يا ربّ، إلى طول الأيّام**

فأرشد المجوس...

ذكصا كانين، وتعاد الطروباريّة بكاملها

في غروب الظهور الإلهي:

بعد المجموعة الأولى من القراءات:

طروباريّة (باللحن الخامس)

لقد ظهرت في العالم، يا مبدع العالم. لكي تنير الجالسين في الظلام، فيا أيّها المحبّ البشر المجد لك

المزمور ٦٦ بكامله

استيخن ١: **ليترأف الله علينا ويباركنا. ويضئ وجهه علينا ويرحمنا**

لكي تنير الجالسين...

استيخن ٢: **لكي تعرف في الأرض طريقك وفي جميع الأمم خلاصك**

لكي تنير الجالسين...

استيخن ٣: **لتعترف لك الشعوب يا الله. لتعترف لك الشعوب جميعها. الأرض أعطت ثمرتها**

لكي تنير الجالسين...

استيخن ٤: **فليباركنا الله إلهنا. ليباركنا الله. ولترهبه جميع أقطار الأرض**

لكي تنير الجالسين...

ذكصا كانين، وتعاد الطروباريّة بكاملها

وبعد المجموعة الثانية من القراءات:

طروباريّة (باللحن السادس)

لقد ظهرت يا مخلّصنا، للخطأة والعشارين، لأجل غزارة رحمتك. لأنّه أين كان نورك يشرق، إلاّ للجالسين في الظلام. فالمجد لك

المزمور ٩٢ بكامله

استيخن ١: **الربّ قد ملك والجمال لبس**

لأنّه أين كان نورك...

استيخن ٢: **رفعتِ الأنهار يا رب، رفعتِ الأنهار صوتها**

لأنّه أين كان نورك...

استيخن ٣: **عجيبة أمواج البحر. عجيب الربّ في الأعالي**

لأنّه أين كان نورك...

استيخن ٤: **لبيتك ينبغي التقديس يا رب على طول الأيّام**

لأنّه أين كان نورك...

ذكصا كانين، وتعاد الطروباريّة بكاملها

في صلاة النوم الكبرى:

دخلت ترانيم قديمة، تعود إلى هذه الفترة، إلى صلاة النوم الكبرى مثل الترنيمة الموقعة التي ترتّل مع المزمور ١٥٠:

طروباريّة (باللحن السادس)

يا ربّ القوّات كن معنا، فإنّه ليس لنا في الأحزان معين سواك. يا ربّ القوّات كن معنا

استيخن ١: **سبّحوا الله في قدّيسيه. سبّحوه في فلك قوّته**

يا ربّ القوّات...

استيخن ٢: **سبّحوه على مقدرته. سبّحوه نظير كثرة عظمته**

يا ربّ القوّات...

استيخن ٣: **سبّحوه بلحن البوق. سبّحوه بالمزمار والقيثارة**

يا ربّ القوّات...

استيخن ٤: **سبّحوه بالطبل والمصافّ. سبّحوه بالأوتار وآلات الطرب**

يا ربّ القوّات...

استيخن ٥: **سبّحوه بنغمات الصنوج. سبّحوه بصنوج التهليل، كلّ نسمة فلتسبّح الربّ**

يا ربّ القوّات...

الخورص الأول: **سبّحوا الله في قدّيسيه**

الخورص الثاني: **سبّحوه بحسب كثرة عظمته**

الخورصان: **يا ربّ القوّات...**

كانت الطروباريات الأولى، بالطبع، سريعة وقصيرة. ولكن لم تصل إلينا، للأسف، الطروباريات التي وضعها آنثيموس وتيموكليوس، ناظمَي التسابيح، في حدود سنة ٤٦٤ م.[١٦]

رابعاً: أناشيد وترانيم قديمة

نجد أناشيد وترانيم قديمة في مصادر مختلفة (كأوراق البردى والمخطوطات)[١٧]، تعود إلى هذه الفترة، منها:

– نشيد يعود إلى بدايات هذه الفترة، يتألّف من عدّة مقاطع، وقد أعاد تنسيقه الراهب فيلوس Βοργία[١٨]

– تسبيح هجائي (Ω - A)، محفوظ في ورق بردى، يعود إلى القرن السادس، ويتألّف من أربع ردّات στροφές مع اللازمة: "**قائلين يا ربّ المجد لك...**"[١٩]

– تسبيح آخر في ورق بردى، يعود إلى القرن السابع، في متحف برلين[٢٠]

– تسبيح آخر في ورق بردى، يعود إلى القرن ٧ – ٨، في متحف برلين[٢١]

(١٦) راجع ثيودورس القارىء: التاريخ الكنسي، ١٩

(١٧) بخصوص أوراق البردى كلّها، راجع المقال:
Papyrus in DACL XIII, 1399...

(١٨) راجع ترامبلا، المرجع السابق، ص ١٠٩ – ١٧١

(١٩) المرجع نفسه، ص ١٧٢

(٢٠) المرجع نفسه، ص ١٧٢

(٢١) المرجع نفسه، ص ١٧٣

– تسبيح للعذراء في ورق بردى، يعود إلى القرن السابع، في المتحف البريطاني:

"**افرحي يا والدة الإله يا فرح الملائكة**

افرحي يا والدة الإله يا كرازة الأنبياء

افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك

افرحي يا من قبلت من الملاك فرح العالم

افرحي يا من ولدت الصانع والسيد

افرحي يا من استأهلت أن تصبح أمّاً للمسيح"[٢٢]

– النشيد الذي لا يزال يُرنّم في صلاة النوم الكبرى:

إنّ طبيعة الشاروبيم غير المتجسّدة

تمجّدك بتسابيح عادمة السكوت

والسيرافيم الحيوانات ذوات الستّة الأجنحة

يعلّونك بأصوات لا تفتر

وجنود الملائكة كلّهم

يسبّحونك بتهليلات مثلّثة التقديس

لأنّك قبل الكلّ لم تزل أيّها الآب

ولك ابنك نظيرك في عدم الابتداء

وبما أنّك حامل روح الحياة، المساوي لك في الكرامة

توضح أنّ الثالوث بلا انفصال

أيّتها البتول الكليّ قدسها أمّ المسيح

(٢٢) المرجع نفسه، ص ١٧٣

ويا معايني الكلمة وخدّامه

يا جميع مصفّ الأنبياء والشهداء

بما أنّ لكم الحياة الخالدة

تشفّعوا من أجل الكلّ بلا انقطاع

فإنّنا كلّنا في الشدائد حاصلون

حتّى إذا نجونا من ضلالة الخبيث

نصرخ بتسبيح الملائكة قائلين

– الترنيمة التي تُرتَّل عوض الكينونيكون خلال الفترة الفصحيّة:

جسد المسيح خذوا والينبوع الذي لا يموت ذوقوا. هلليلوييا

– التسبيح المعروف: "**إذ قد رأينا قيامة المسيح...**"، الذي يُتلى كلّ يوم أحد بعد إنجيل السَّحَر، والذي أُدخل أيضاً إلى خدمة القيامة

خامساً: طروباريات أخرى قديمة

١– لقد ظهرت طروباريات كثيرة ومختلفة الأنواع في هذه الفترة، وتميّز النوع الأوّل منها باحتوائه على سؤال وعلى جواب على هذا السؤال بطريقة تبعث السرور والابتهاج، منها:

كاثسماطات سَحَر الميلاد (لا يُعرَف واضعها):

باللحن الرابع: كاته بلاجي ايوسيف

هلمّوا يا مؤمنون ننظر أين وُلد المسيح، فلنتبع الكوكب حيث يسير والمجوس ملوك المشرق، ها هنا الملائكة يسبّحونه دوماً والرعاة، بتسبيح لائق، كانوا يهتفون المجد في الأعالي، للذي وُلد اليوم في مغارة، من البتول والدة الإله، في بيت لحم اليهوديّة

لم يا مريم العجب والذهل في داخلك، فتجيب لأنّي ولدت في زمن ابناً، فوق الأزمان ولم أُدرك كنه حبلي، كيف ابناً ألد دونما رجل، هل ولادة من غيرزرعٍ، لكن حيث يشاء الإله، كما كُتب، يُغلب نظام الطبيعة، قد ولد المسيح من البتول، في بيت لحم اليهوديّة

كيف يوسَع في الحشا، الذي لا يسعه الكلّ، ومَنْ في أحضان الآب يُحمل من ساعدَي أم، ذا تمّ كما هو علم وسرّ وشاء، فالمنزّه عن الجسد طوعاً تجسّد، فصار الكائن لما لم يكن مشاركاً طينتنا، ولم ينفصل عن جوهره، قد وُلد المسيح بطبيعتين، ليتمّ العالم العلوي

أبوستيخن غروب ٧ كانون الثاني:

باللحن الرابع: ايذوكاس سيميوسين

أيّها السيّد. إنّ يوحنا السابق لما أبصرك مقبلاً نحوه. اعترته الدهشة فهتف بخوف كعبدٍ شكورٍ، قائلاً: ما هذا التواضع أيّها المخلّص، وما هذه المسكنة التي اشتملت بها، يا من بغنى صلاحه رفعت الإنسان الذليل، إذ قد لبسته بما أنّك المتحنّن

إنّ مخلّص الكلّ أجاب السابق قائلاً هلمّ نحوي فاخدم السرّ الرهيب الذي أتمّمه اليوم، ولا ترهب فإنّي أنا الظاهر بالطبع اصطبغ كإنسان في مياه الأردن، التي تراني حاضراً فيها، لكني أجدّد آدم المتهشّم بالخطيئة

أجاب يوحنا قائلاً مَن مِن الأرضيين أبصر قط الشمس تغتسل والموشّح السماء بالغيوم عرياناً بجملته، والخالق الينابيع والأنهار نازلاً في المياه. إنّني أندهش من تدبيرك الذي لا يوصف أيّها السيّد، فلا تكلّف عبدك بهذه الأوامر الرهيبة

إستيشيرات غروب ٢٥ آذار:

باللحن السادس: اولين ابو ثاميني

إنّ غفرئيل قد حضر نحوك أيّتها الفتاة، ليكشف لك القصد الذي قبل الدهور، مسلّماً عليك وقائلاً افرحي يا أرضاً غير مبذورة، افرحي يا عليقة غير محترقة، افرحي يا عمقاً يعسر النظر إليه، افرحي يا جسراً ناقلاً إلى السماوات، افرحي أيّتها السلّم العالية التي شاهدها يعقوب، افرحي يا جرّة المنّ الإلهيّة، افرحي يا انحلال اللعنة، افرحي يا استعادة آدم، الربّ معك

إنّ الفتاة البريئة من الفساد قالت لزعيم الأجناد: إنّك تظهر لي كإنسان، فما بالك تنطق بأقوال تفوق الإنسان بقولك إنّ الله يكون معي، ويحلّ في أحشائي، فأخبرني إذاً كيف أصير محلاً رحباً، ومكان التقديس للراكب على الشيروبيم فلا تخدعني بغشّ، لأنّني ما عرفت لذّة ولم أباشر زواجاً، فكيف إذاً ألد ابناً ؟

فهتف نحوها غير المتجسّد قائلاً حيث يشاء الإله تُغلب ترتيبات الطبيعة، ويُصنع ما يفوق الإنسان، فآمني بأقوالي المحقّة يا ذات كلّ طهر وقداسة، وأمّا هي فهتفت قائلةً: ليكن لي الآن حسب قولك، فألد غير المتجسّد متّخذاً منّي جسداً، لكي باتّحاده به يُصعد الإنسان إلى الرتبة الأولى. بما أنّه المقتدر وحده

٢- ويعود إلى هذا الزمن (أو أقدم منه) نوع آخر من الطروباريات وهو إيذيوملات الساعات الكبيرة ليوم الجمعة العظيمة التي تنسب في ترجمتها السريانيّة للقدّيس كيرلّس الأورشليميّ. (وهناك بعض المخطوطات اليونانيّة التي تعيد هذه الإيذيوملات إلى كيرلّس الاسكندري):

الساعة الأولى:

باللحن الثامن

اليوم ستر الهيكل انشقّ تبكيتاً لمخالفي الناموس، والشمس سترت أشعتها عندما نظرت السيد مصلوباً

أيّها المسيح الملك كمثل خروف انْسَقْت إلى الذبح، وكمثل حَمَل عديم الشر، يا ملك الكلّ، سُمّرت على الصليب من رجال متعدّين الشريعة، لأجل خطايانا، يا محبّ البشر

ذكصا كانين (باللحن الثامن)

يا ربّ لقد هتفت، باحتمال وصبر إلى الذين قبضوا عليك، قائلاً: وإن كنتم ضربتم الراعي، وشتّتم الاثني عشر خروفاً تلاميذي، فقد كنت قادراً أن أُحضر أكثر من اثنتي عشرة طغمة من الملائكة لكي أُطيل أناتي، ليكمل ما قد أعلنته لكم بأنبيائي من الغامضات والمكتومات، فيا ربّ المجد لك

الساعة الثالثة:

باللحن الثامن

يا ربّ، من أجل خوف اليهود، جحدك بطرس صديقُك وقريبُك، وانتحب هكذا سارخاً: عن دموعي لا تغفل لأني قلت أن أحفظ الإيمان وما حفظت أيها الرؤوف، فاقبل هكذا أيضاً توبتنا، وارحمنا

من قبل صلبك المكرّم يا ربّ، لمّا كانت الأجناد تهزأ بك، اندهشت أجناد الملائكة، لأنك لبست إكليل الافتراء يا من زخرفت الأرض بالأزهار، ولبست خلعة الهزء يا مَنْ وشّحت الجَلَد بالغيوم. فبهذا التدبير عُرف تحنّنك أيها المسيح ذو الرحمة العظمى، المَجْدُ لك

ذكصا كانين (باللحن الخامس)

يا ربّ، لمّا جُذبت إلى الصلب، صرخت هكذا: لأيّ عمل تريدون أن تصلبوني أيها اليهود، ألأنّي لمخلّعيكم شدّدت، ألكوني لأمواتكم أقمت كمن نوم، ولنازفة الدم

شفيت، وللكنعانيّة رحمت، فلأيّ فعل تريدون قتلي أيّها اليهود؟ لكن ستعاينون لَمَنْ طعنتم أيّها المخالفو الشريعة أنّه المسيح

الساعة السادسة:

باللحن الثامن

هكذا يقول الربّ لليهود: يا شعبي ماذا صنعت بك أو بماذا آذيتك؟ لعميانك أنرت، ولبرصك طهّرت، وللرجل الذي على السرير قوّمت. يا شعبي ماذا فعلت بك، وبماذا كافيتني؟ عوض المنّ مرارة وبدل الماء خلاً، عوض أن تحبّني على الصليب بجّنتني. لست أطيق فيما بعد احتمالاً، سأدعو الأمم، وأولئك يمجدّوني مع الآب والروح، وأنا أهبهم حياة أبديّة

أيّها اليهود والفرّيسيّون الواضعو الشّرائع لإسرائيل، إنّ محفل الرّسل يهتف إليكم هكذا: انظروا الهيكل الذي حللتموه، شاهدوا الحَمَل الذي صلبتموه، قد دفعتموه للقبر إلاّ أنّه قام بذات سلطانه، فلا تضلّوا يا يهود، لأنّ هذا هو الذي في البحر خلّص وفي القفر عالَ، هذا هو الحياة والنور وسلامة العالم

ذكصا كانين (باللحن الخامس)

هلمَّ، يا معشر اللاّبسي المسيح، ننظر ما تشاور به يهوذا الدافع مع الكهنة المخالفي الشريعة على مخلصنا، اليوم جعلوا الكلمة العديم الموت تحت طائلة الموت، وأسلموه لبيلاطس، وصلبوه في موضع الجمجمة. وإذ كان يتألم مخلصنا صرخ قائلاً: اغفر لهم يا أبتاه هذه الخطيئة، لكيما تعرف الأمم قيامتي من بين الأموات

الساعة التاسعة:

باللحن السابع

عجبٌ كان يُرى، كيف صانع السماء والأرض على الصليب معلّق. الشمس

أظلمت، والنهار أيضاً تحوّل إلى ليل، والأرض أبرزت أجسام الموتى من القبور. فمعهم نسجد لك، فخلّصنا

باللحن الثاني

عندما سمَّرك الأبرياء من الشريعة على الصليب يا ربَّ المجد، هتفت نحوهم: بماذا أحزنتكم وبماذا أغضبتكم، مَن الذي نجّاكم قبلي من الحزن، والآن بماذا كافيتموني: بدل الخير شرّاً، بدل عمود النّار بجّنتموني على الصليب، عوض الغمام احتفرتم لي لحداً، بدل المنّ قدّمتم لي مرارة، عوض الماء سقيتموني خلاً، سأدعو الأمم فيما بعد، وأولئك يمجّدوني مع الآب والرّوح القدس

ذكصا كانين (باللحن السادس)

اليوم عُلّق على خشبة الذي علّق الأرض على المياه (ثلاثاً)

إكليل من شوك وُضع على هامة ملك الملائكة

برفيراً كاذباً تسربل الذي وشّح السماء بالغيوم

قَبِل لطمةً الذي أعتق آدم في الأردن

خَتن البيعة سُمُر بالمسامير. وابن العذراء طُعن بحربةٍ

نسجد لآلامك أيّها المسيح (ثلاثاً)

فأرِنا قيامتك المجيدة

٣- وظهر نوع آخر من الطروباريات أيضاً، تميّز بطروباريّاته المكوّنة من مقاطع مأخوذة بكاملها (أو مع تغيير بسيط) من مواعظ لآباء الكنيسة. ونورد كمثال على ذلك الإستيشيرا الثانية من إينوس العنصرة المأخوذة عن القدّيس غريغوريوس اللاهوتي:

إنّ الرّوح القدس كان دائماً وكائن وسيكون، لأنّ ليس له ابتداء، ولا له بالكلّيّة انتهاء، لكنّه لم يزل منتظماً مع الآب والابن، ومعدوداً حياةً ومحيياً، نوراً ومانحاً للضياء، صالحاً بالطبع وللصلاح ينبوعاً، الذي به يُعرف الآب ويمجَّد الابن ويُفهم من الكلّ، أنّ قوّةً واحدةً، ورتبةً واحدةً، وسجدةً واحدةً للثالوث المقدّس

وكذلك الشهوديّة التي تقال في أبوستيخن غروب الأربعاء، والتي تعود إلى القرن السادس:

المعزي، لحن رابع

تشفّعوا إلى الله يا شهداء الربّ. يا ذبائح ذات نفوس حيّة، ومحرقات ناطقة، وضحايا الله الكاملة، والخراف التي تعرف الله ويعرفها الله، والتي لا تطرق الذئاب صيرتها، طالبين لنا أن نرعى معكم على ماء الراحة

حيث نرى القدّيس غريغوريوس[٢٣] يُكنّي الشهداء دوماً بأنّهم:

* محرقات ناطقة ὁλοκαυτώματα λογικά

* وضحايا كاملة θύματα τέλεια

* وذبائح ذات نفوس حيّة ἱερεῖα ἔμψυχα

٤- يورد بعض علماء التسابيح (مثل Pitra) من بين التسابيح القديمة أيضاً كلاًّ من الترنيمتين[٢٤]:

(٢٣) راجع مقالة "ضد الآريوسيين" وأيضاً "إلى ذاته" التي قيلت حوالي سنة ٣٨٠ م. (ترامبلا، المرجع السابق، ص ١٨٣ - ١٨٧)

(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٨٧ - ١٨٨

إستيشيرا إينوس الفصح

إنّ فصحنا المسيح المنقذ قد اتّضح لنا اليوم فصحاً شريفاً، فصحاً جديداً مقدّساً، فصحاً سرّيّاً، فصحاً جليل الوقار، فصحاً بريئاً من العيب، فصحاً عظيماً، فصحاً للمؤمنين، فصحاً فاتحاً لنا أبواب الفردوس، فصحاً مقدّساً جميع المؤمنين

الأرمس Ἀρματηλάτην Φαραώ

إنّ عصا موسى قديماً صنعت معجزة، لمّا ضربت اليمّ بشكل صليب، وشقّته ففرّقت فرعون مع مركباته، وأمّا اسرائيل الهارب ماشياً فقد خلّصته مرتّلاً لله تسبيحاً

الذي يُعتقد أنّه كان يُقال في خدمة المعموديّة المقدّسة

ينسب كتاب الأراميس الموضوع من قبل صفرونيوس ليندوبوليوس Λεοντοπόλεως هذا الأرمس إلى يوحنّا الرّاهب (أي الدّمشقي)، ولكنّه ليس من المستبعد بأنّ يوحنّا قد أخذ هذا الأرمس وجعله أرمساً لبقية طروباریاته في الأودية الأولى من قانونه

٥- دخل إلى القدّاس الإلهي في هذه الفترة، ترانيم متعدّدة ما زالت في حيّز الاستعمال حتّى وقتنا، وهي:

آ- الترنيمة التي وضعها يوستينيانوس (٥٢٧ - ٥٦٣)، التي ترنّم على الأنديفونة الثانية: "**يا كلمة الله الابن الوحيد...**"

ونستنتج من ذلك بأنّ الأنديفونات التي ترتّل مع استيخونات تعود إلى هذه الفترة أو إلى أقدم منها:

بشفاعات والدة الإله، يا مخلّص، خلّصنا

خلّصنا يا ابن الله، يا من قام من بين الأموات، نحن المرتّلين لك هلليلوييا

بشفاعات قدّيسيك، خلّصنا، يا ربّ

ب– التسبيح الشيروبيميّ الموضوع من قبل يوستينوس الجديد (حوالي ٥٧٣م.): "**أيّها الممثلون الشيروبيم...**"

جـ – الترنيمة المرتّلة عوض الشيروبيكون في السبت العظيم، والتي تعود إلى قدّاس يعقوب الرسول: "**ليصمت كلّ...**"

د– التريصاجيون الذي تبنّاه بروكلوس (+ ٤٤٧م.) الذي أُدخل إلى القدّاس بأمر من ثيوذوسيوس الصغير: "**قدّوس الله، قدّوس القوي، قدّوس الذي لا يموت ارحمنا**"

هـ – الترنيمة الشيروبيميّة: "**الآن قوّات السماوات...**" التي أدخلت إلى الطقس حسب التقويم الفصحي (P.G. 92, 989) منذ السنة الثالثة لملك هرقل، في الأيام التي يقام فيها قدّاس بروجيازميني

و– الترنيمة التي ترتّل بعد المناولة الإلهيّة: "**ليمتلىء فمي من تسبحتك يا رب...**"

ز– ترنيمة: "**اقبلني اليوم شريكًا...**" التي تعود إلى هذه الفترة، على الأغلب، وترتّل عوض الشيروبيكون في قدّاس الخميس العظيم

٦– إنّ بعض الطروباريات الموجودة في السواعي تعود إلى القرن الخامس أو السادس، منها:

من الساعة الثالثة:

باللحن السادس

يا ربّ، يا من أرسلتَ روحك الكلّيّ قدسه على رسلك في الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منّا أيّها الصالح لكن جدّده فينا، نحن المتضرّعين إليك

ذكصا كانين

يا والدة الإله أنت الكرمة الحقيقيّة الحاملة ثمرة الحياة، إليك نتضرّع فتشفّعي أيّتها السيّدة مع الرّسل وجميع القدّيسين، أن تُرحمَ نفوسُنا

من الساعة السادسة:

باللحن الثاني

يا من في اليوم السادس، وفي الساعة السادسة، سمّرت على الصليب الخطيئة التي تجرّأ عليها آدم في الفردوس، مزّق صكّ هفواتنا، أيّها المسيح الهنا، وخلّصنا

ذكصا كانين

لأنّه ليس لنا دالةٌ لأجل كثرة خطايانا، فأنت توسّلي إلى المولود منك يا والدة الإله العذراء، لأنّ وسائل الأم تقتدر كثيراً أن تستعطف السيّد، فلا تعرضي عن توسلات الخطأة يا كليّة الوقار، لأنّه رحيم وقادر على خلاصنا، الذي قَبِل أن يتألّم من أجلنا

والطروباريات في نهاية الساعة

خلاصاً صنعت في وسط الأرض، أيّها المسيح الهنا، لمّا بسطتَ يديك الطاهرتين على الصليب، فجمعت الأمم كلّها صارخة، يا ربّ المَجْدُ لك

ذكصا

لصورتك الطاهرة نسجد أيّها الصالح، مستمدّين مغفرة الخطايا أيّها المسيح الهنا، لأن بمشيئتك سُررت أن تصعد بالجسد على الصليب، لتنجّي الذين خلقت من عبودية العدو، فلذلك نهتف إليك بشكر، لقد ملأت الكلّ فرحاً يا مخلّصنا إذ أتيت لتخلّص العالم

من الساعة التاسعة:

باللحن الثامن

يا من ذاق الموت بالجسد في الساعة التاسعة لأجلنا، أمت أهواء أجسادنا أيّها المسيح الإله وخلّصنا

ذكصا كانين

يا من ولدت من البتول لأجلنا، وكابدت الصلب أيّها الصالح، يا من سبيت الموت بموتك، وأريت القيامة بما أنك إله، لا تعرض عن الذين جبلتهم بيديك، بل أظهر تعطّفك على الناس أيها الرحيم، وتقبّل والدتك والدة الإله متشفّعة من أجلنا، وخلّص يا مخلّصنا شعباً يائساً

من صلاة الغروب:

باللحن الخامس

إفرحي يا والدة الإله العذراء، مريم، الممتلئة نعمة، الربّ معك، مباركة أنت في النساء، ومبارك ثمر بطنك، لأنّك ولدت مخلّص نفوسنا

يا صابغ المسيح أُذكر جماعتنا، لكي ننجو من آثامنا، لأنك قد أُعطِيتَ نعمةً لتتشفّع فينا

ذكصا

أيّها الرسل الأطهار وجميع القدّيسين، توسّلوا من أجلنا، لكي ننجو من الشدائد والأحزان، لأننا قد اتّخذناكم، شفعاء حارّين لدى المخلّص

كانين

يا والدة الإله، إذ قد لجأنا تحت كنف تحنّنك، فلا تعرضي عن توسّلاتنا في الضّيقات، بل نجّينا من الشدائد، أيّتها النقية المباركة وحدك

من صلاة النوم الكُبرى:

باللحن الثامن

يا ربّ إنَّ دينونتك لمرهوبة، إذ تكون الملائكة واقفين، والناس محشورين، والكتب تُفتح، والأعمال تُكشف، والأفكار تُستفحص، فأيّة مداينة تكون مداينتي أنا المضبوط بالخطايا؟ مَنْ يُطفىء لهيب النار عنّي؟ مَنْ يضيء ظلمتي؟ إن لم ترحمني أنت يا ربّ، بما أنّك محبٌّ للبشر

ذكصا

دموعاً أعطني يا الله، كما أعطيت قديماً المرأة الخاطئة، واجعلني مستحقاً أن أبلّ قدميك اللتين أعتقتاني من طريق الضلالة، وأقدّم لك طيباً ذكي الرائحة عيشة نقيّة مقتناة بالتوبة، حتّى أسمع أنا أيضاً صوتك الحسن: إيمانك خلّصك، إمضِ بسلام

كانين

يا والدة الإله، إذ قد حويتُ الثقة بكِ التي لا تخذل فسأخلص، وإذ أحرزتُ نصرتك يا كلية الطهارة فلا أخشى، فأطرد أعدائي وأهزمهم متّخذاً ستركِ وحده كالدرع، وأهتف إليكِ متضرّعاً إلى معونتكِ الكليّ اقتدارها، فخلّصيني أيّتها السيّدة بشفاعاتك، وأنهضيني من النوم المظلم إلى تمجيدك، بقوّة ابن الله المتجسّد منكِ

من صلاة نصف الليل:

باللحن الثامن

ها الختن يأتي في نصف الليل، فطوبى للعبد الذي يجده مستيقظاً، أمّا الذي يجده متغافلاً فهو غير مستحق، فانظري إذاً يا نفسي ألاّ تستغرقي في النوم، ويُغلق عليكِ خارج الملكوت، وتسلّمي إلى الموت، بل كوني منتبهةً صارخة: قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ أنت يا الله، من أجل والدة الإله ارحمنا

ذكصا

تفطّني يا نفسي بذلك اليوم الرهيب واسهري، وأضيئي مصباحك بزيت البهجة، لأنّك لا تعلمين متى يأتي نحوك الصوت القائل: ها الختن، فانظري إذاً يا نفسي ألاّ تنعسي فتلبثي خارجاً قارعةً مثل الخمس العذارى، بل اثبتي ساهرةً لكي تلتقي المسيح الإله بزيت دسم، فيمنحك خدر مجده الإلهي

كانين

إليكِ نتضرّع يا والدة الإله العذراء، يا سور خلاصنا الحصين غير المنثلم، فشتّتي مشورة المعاندين، وحوّلي حزن شعبك إلى فرح، وأعيدي دعوة عالمك، وأيّدي الحسني العبادة، ومن أجل سلامة العالم تشفّعي، لأنّك أنتِ يا والدة الإله رجاؤنا

سادساً: شعراء هذه الحقبة

عُرف الأمبراطور يوستينيانوس (٥٢٧ – ٥٦٥م.) كناظم تسابيح في هذه الحقبة، وهو الذي حدّد بأن ترنَّم "يا كلمة الله الابن الوحيد..." في الأنديفونة الثانية من القدّاس الإلهي (ويعتقد البعض بأنّه هو واضعها). وقد وصل نظم التسابيح في هذه الحقبة إلى قمّته مع رومانوس المرنِّم الذي عُرف بنظم القناديق

وقد عرفت هذه الحقبة ناظمين كثيرين منهم البطريرك صفرونيوس الذي وضع تسابيح هامّة دخلت في الاستعمال الليتورجي، وكيرياكوس الذي وضع قنداقاً للعازر، وأنسطاسيوس الذي وضع قنداق الأموات، والياس وكبريانوس وأيوب وجاورجيوس وغريغوريوس وأرسانيوس واستفانوس وغفرئيل وطاراسيوس ويوحنا. وسيأتي الكلام عن هؤلاء الناظمين لاحقاً

الفصل الثالث

الحقبة الثالثة (القرن ٨-١١ م.)

تبتدئ المرحلة الثالثة في التسبيح الكنسي، في القرن الثامن الميلادي، مع ظهور نوع جديد من النظم الكنسي الذي أخذ يحلّ مكان القنداق. وهو يُعرف بـ "القانون ὁ κανών". وهكذا سنلقي الضوء في هذه الحقبة على هذا النوع الشعري الجديد

أولاً: القانون

١- تركيب القانون:

القانون نمط شعريّ يتألّف من تسع أوديات ترتَّل على النغم ذاته. وكلّ أودية تتألّف من أرمس وطروباريّات

وقد وُضعت الأوديات التسع بالمقابل للتسابيح الكتابيّة التسع

آ- **الأرمس** ὁ εἱρμός :

إنّ الأرمس هو النموذج الذي توضع على نسقه الطروباريات اللاحقة له، وزناً وإيقاعاً وموسيقا. ويكون محتوى الأرمس عادةً، متناسباً مع التسبحة الكتابيّة المقابلة له (ولكنّه يتناول أيضاً بعض الأحيان العيد الجاري). وقد سُمّي أرمساً لأنّ الطروباريات اللاحقة له تُنظَم على شاكلته وزناً وموسيقا. إنّ كلمة أرمس متأتّية من فعل εἴρω بمعنى وَصَل، جمع مع

وهكذا نرى ثيوذوسيوس الاسكندري يقول: "إذا أراد أحد ما أن ينظم قانوناً، فعليه أولاً أن ينظم الأرمس، وبعد ذلك يضع الطروباريات موزونة على الأرمس بالمقاطع والإيقاع"(٢٥)

وكذلك يقول يوحنا زوناراس: "إنّ الأرمس هو بمثابة النظام الذي يهب للطروباريات ترتيباً في اللحن والإيقاع، إذ إنّ الطروباريات تُوقَّع على لحن الأراميس"(٢٦)

ولكن العديد من القوانين وُضعت من قِبَل شعراء غير مُلمِّين بالموسيقى، معتمدين بذلك على أراميس سابقة. وأوضح مثال على ذلك، القانون الذي يرتّل مع خدمة المديح الذي لا يجلس فيه، حيث نرى القانون من نظم يوسف ناظم التسابيح بناءً على أراميس من وضع يوحنا الدمشقي، تعود إلى عيد رقاد السيدة. وهكذا فإنّ الطروباريات فقط في قانون المديح تعود إلى يوسف الناظم، الذي نظم قانونه دون أن ينظم أراميس جديدة

وقد جُمعت الأراميس التي وُضعت من قبل المرنمين في كتب خاصة بها، تُعرف باسم كتاب الأراميس Εἱρμολόγια، وهي عبارة عن كتب تحتوي إمّا على الأراميس فقط أو على الأراميس موضّعة على الموسيقى

إنّ أرمس كلّ أودية يُعاد في نهايتها بمثابة كاطافاسية. وقد سُميت هذه الأراميس كاطافاسيات، إذ إنّ كلاً من الخورصين كانوا ينزلون عن كراسيهم، بعد نهاية طروباريات الأودية، ويجتمعون في وسط الكنيسة ويرنّمون الأرمس معاً

(٢٥) راجع Ὑμνολογία κωνσταντίνου,' I.، أثينا ١٩٧٩، ص ٨٥
(٢٦) المرجع نفسه

ب- الطروباريات:

إنّ الطروباريات تتكلّم عادة عن العيد الجاري الذي وُضع من أجله القانون. وإنّ الطروبارية الأخيرة عادةً من كلّ أودية تخصّ والدة الإله وتُعرف باسم ثيوطوكيون Θεοτοκίον أي والديّة

إنّ توافق الطروباريات مع الأرمس بالإيقاع والوزن، قد ينعدم في بعض الأحيان. ويتمّ تجاوز هذه النواقص، الحاصلة أحياناً في عدد المقاطع وفي الإيقاع، بالموسيقى بناءً على مبدأ τονή (Le ton de la voix) أي التشديد على مقطع أكثر من غيره أو إمداده إن لزم الأمر

٢- ميزة (تطريز) القانون "ἀκροστιχίς" :

إنّ ميزة القانون، خلافاً لميزة القنداق البسيطة، هي أن الجملة الناتجة عن "تطريزه" تكون أكثر جمالاً ورونقاً وفنّاً. فتكون عادةً منظومة على إيقاع ما، وقد تحمل لوناً عقائدياً في بعض الأحيان. ففي قانونَيْ الميلاد والظهور لكوزما أسقف مَيّوما "التطريز" هو:

"χριστός βροτωθείς ἦν ὅπερ Θεός μένη"

"آكلُ المسيح يصير كإله"

"Βάπτισμα ρῦψις γηγενῶν ἁμαρτάδός"

"معمودية محو الخطيئة منذ الولادة"

إنّ "تطريز" القانون يتكوّن عادةً من مجموع الأحرف الأولى لكلّ من الطروباريات (مع الأرمس بعض الأحيان، وأحياناً أخرى دونه)

إنّ تطريز القانون هو بمثابة المفتاح للقانون، إذ إنّه يساعدنا أغلب الأحيان على معرفة واضعه. وإنّ ثلث أسماء ناظمي القوانين معروف من تطريز القوانين المحفوظة حتى الآن. ولكن ميزة القانون تخلق أحياناً بعض الإشكالات في معرفة الناظم، إذ إنّ بعض الناظمين كانوا يختفون تحت أسماء مستعارة وألقاب مختلفة مثل غير المستحق والمسكين... إلخ. والتي تولّد صعوبة في معرفة الواضع

ويعتقد بعض العلماء بأن سوريا هي مصدر الميزة في القانون

٣- أوديات القانون:

إنّ عدد أوديات القانون هو تسعة، وذلك لأنّها تقابل التسابيح الكتابيّة التسع، التي تُنظم أراميس القانون عادةً بناءً عليها

ولكنّنا نجد بعض القوانين التي تتألّف من أوديتين أو ثلاث أوديات διώδια - τριώδια، وذلك في فترة ظهور القنداق وحتّى قبل ذلك أيضاً، وإن لم يكن هذا النمط من النظم الشعريّ قد عرف اسم "القانون" بعد. وهكذا نستنتج بأنّ القانون قد أخذ بالظهور قبل القرن الثامن، ولكنّه اكتمل وأخذ شكله الأخير في القرن الثامن

لم تكن القوانين الكاملة والطويلة، على ما يبدو، محبَّبة كثيراً في الاستعمال الليتورجي، ولهذا سرعان ما نرى أنّ عدد طروباريات كلّ أودية قد أخذ في التقلّص وأصبح محدوداً. وإنّ الأودية الثانية تغيب من غالبية القوانين وذلك يعود، حسب القدّيس نيقوديموس الآثوسي، إلى أنّ محتوى هذه التسبحة الكتابية حزين ويتكلّم عن الوعيد ضدّ الجيل الفاسق والمعوّج الذي يمرمر الربّ، وهكذا فإنّها لا تتلاءم مع الفرح والتعييد لمناسبة ما. وهكذا نجد الأودية الثانية في الفترات المخصّصة للتوبة كالصوم الأربعيني مثلاً

إنّ كلّ أودية من أوديات القانون تتمتع بنغمها الخاص الذي تمتاز به موسيقياً ووزناً، وذلك وفق لحن القانون الواحد. وهكذا فإنّ كلّ أودية تتشابه من الوجهة الشكليّة مع القنداق، الذي تتأتّى فيه أبياته وزناً وموسيقا من البيت الأول فيه، كذلك فإنّ طروباريات الأودية تنظم بناءً على أرمسها. أي إنّ القانون يتألّف شكليّاً من مجموعة من ثمانية أو تسعة قناديق، حسب عدد أودياته، إن جاز التعبير

هناك مجموعة من الطروباريات التي تترابط مع أوديات القانون وتقسم إلى مجموعتين الأولى تعرف باسم "الأناشيد المرافقة Παρῳδια"، وهي عبارة عن طروباريات كانت تُرتَّل مع التسابيح الكتابيّة قبل أن تظهر القوانين الكاملة (بشكلها الكامل). والثانية تسمى "الأناشيد المتوسطة μεσῳδια"، وهي الطروباريات التي تُرتَّل فيما بين أوديات القانون، أي إنّها تتوسط أودياته مثل الكاثسماطات والقنداق والبيت

٤- التسابيح الكتابيّة:

إنّ التسابيح الكتابيّة التسع هي التالية:

١- تسبحة موسى: وهي عبارة عن تسبيح شكري بعد عبور الاسرائيليين للبحر الأحمر بطريقة عجائبية (خر ١٥: ١-١٩)، وتبتدئ هكذا:

"لنسبّح الربّ فإنّه بالمجد قد تمجّد..."

٢- تسبحة موسى الثانية: وهذه التسبحة عبارة عن صلاة تفوَّه بها موسى، وهو على جبل موآب، عندما شعر بأنّ نهايته قد قربت (تث ٣٢: ١-٤٣)، وتبتدئ هكذا:

"أنصتي يا سماء فأتكلّم..."

٣– تسبحة حنّة: التسبحة الثالثة هي صلاة لحنّة أم صموئيل النبي، وهي بمثابة شكر للربّ بعد ولادتها صموئيل (١مل ٢: ١–١٠)، وتبتدىء هكذا:

"تشدّد قلبي بالربّ، ارتفع قرني بإلهي..."

٤– تسبحة حبقوق: التسبحة الرابعة هي لحبقوق النبي (حب ٣: ١–١٩)، وتبتدئ هكذا:

"يا ربّ سمعت سماعك ففزعت، يا ربّ تأملت أعمالك فاندهلت..."

٥– تسبحة إشعيا: التسبحة الخامسة هي لإشعياء النبي (أشع ٢٦: ٩–٢١) وتبتدئ هكذا:

"من الليل تبتكر روحي إليك يا الله، لأن أوامرك نور على الأرض..."

٦– تسبحة يونان النبي: التسبحة السادسة هي صلاة يونان النبي في جوف الحوت البحري (يونان ٢: ٣–١٠)، وتبتدئ هكذا:

"صرخت في حزني إلى الربّ إلهي فاستجاب لي..."

٧– تسبحة الفتية الثلاثة: التسبحة السابعة هي صلاة الفتية الثلاثة القديسين في أتون النار (دانيال ٣: ١–٣٣)، وتبتدئ هكذا:

"مبارك أنت يا ربّ إله آبائنا، ومسبّح وممجّد اسمك إلى الدهور..."

٨– تسبحة الفتية الثلاثة: التسبحة الثامنة هي تسبيح الفتية الثلاثة القديسين في أتون النار (دانيال ٣)

٩– التسبحة التاسعة: وهي قسمان:

القسم الأول: وهو صلاة البتول مريم، عندما التقت بأليصابات (لو ١: ٤٦–٥٥)، وتبتدئ هكذا:

"تعظّم نفسي الربّ وتبتهج روحي بالله مخلصي..."

والقسم الثاني: وهو صلاة زخريا أبي السابق، بعد ولادة ابنه (لو ١: ٦٨...)، وتبتدئ هكذا:

"مبارك الربّ إله اسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه..."

٥– أسباب ظهور هذا النمط الشعري الجديد:

ما هي الأسباب التي أدّت إلى التقهقر السريع للقنداق وانحساره في الاستعمال الليتورجي؟ بالطبع هناك آراء كثيرة، ولكن السبب الهام، والذي يقول به أغلب المفسرين اليوم، يعود إلى حرب الأيقونات والتقلبات الحاصلة آنذاك في الكنيسة. إنّ هذا الحدث الديني قد أقلق بيزنطة حوالي مئة سنة. ولا ننسى أنّه في تلك الأيام، أي القرن التاسع، تمّ تنسيق الكتب الليتورجية حسب تيبيكون تلك الأيام، ولكنّ حرب الأيقونات أغلقت الباب على تيبيكون القسطنطينية، وفتحت الطريق أمام تيبيكون أورشليم الممثَّل بدير القديس سابا، المدافع الأول عن الأرثوذكسية (وخاصة القديس يوحنا الدمشقي). وقد احتلّ هذا النمط الشعري الجديد، أي القانون، مكانة أساسية في تيبيكون دير القديس سابا، الأمر الذي أدّى إلى انتشار هذا الشكل الجديد الشعري بشكل سريع وواسع، وانحصار القنداق في الاستعمال الليتورجي

٦– الفروقات الكامنة بين القانون والقنداق:

بالرغم من التشابه الخارجي للقانون مع القنداق، فإنّ الفروقات بينهما أساسية

إنّ القنداق يتّصف عادة بطابع قصصي وروائي، ويتميّز بوحدة موضوعه. ولهذا فهي تشبَّه بالسنكسارات النظامية، إذ إنّها تبرز الأشخاص

أو الحوادث المعيَّد لها وتتكلّم عنها بشكل قصصي وكان ناظم القنداق يذكر في بعض طروباريات القانون حوادث أو أفعال من سيرة الشخص المعيَّد له، ولكن دون أن يتّبع الوحدة القصصيّة

إنّ العنصر الأساسيّ البارز في القنداق هو رفع التسبيح للإله المثلث الأقانيم، وكذلك التأكيد على الحقائق العقائدية، ونقلها إلى نفوس المؤمنين. وهكذا فإنّ ما يميّز القنداق هو العنصر التمجيدي والعقائدي

كذلك فإنّ القنداق يتميّز عن القانون من ناحية اللغة، فإنَّ لغة القناديق بسيطة وشعبية عادةً، أمّا لغة القوانين فهي أكثر رونقاً، وتميل إلى اللغة الأدبية، وكان ناظمو القوانين يتقيدون بالمصادر (الكتاب المقدس والكتابات الآبائية) أكثر من ناظمي القناديق، فمن المسلَّم به، على سبيل المثال، أن قوانين قوزما أسقف مَيّوما في الميلاد والفصح والعنصرة تحتوي على عبارات مأخوذة بحرفيتها من مواعظ القديس غريغوريوس النزينزي

ويختلف القنداق عن القانون أيضاً في عدد الطروباريات. إنَّ عدد أبيات القنداق يعود إلى إرادة الناظم الحرّة، أما طروباريات القانون، خلافاً لذلك، فإنّها تبلغ ٣ أو ٤ في كل أودية من أودياته

وهكذا نستطيع القول بأن عدد طروباريات القانون محدَّد، خلافاً للقنداق، الأمر الذي يقيِّد الناظم نوعاً ما، ويحدّه من الوقوع في التكرار. إنَّ الناظم في القوانين يملك الفرصة في ذكر حوادث من العهد القديم، وكذلك والدة الإله، علماً بأن الأودية التاسعة مخصّصة بكاملها لوالدة الإله، بالإضافة إلى الطروبارية الأخيرة من كل أودية

وأخيراً، فإن أراميس القانون تختلف عن بعضها من ناحية الوزن الموسيقي، إذ إنّ كلّ أرمس له وزنه الخاص به ضمن إطار اللحن المطلوب، أما القنداق فيتميّز موسيقياً بالمقدّمة والبيت الأول فقط

٧- مكانة القوانين في العبادة:

سرعان ما احتلّ القانون المكانة التي كان عليها القنداق سابقاً. أمّا القنداق فقد انحصر في تلاوة المقدّمة والبيت الأول منه فقط، مع إعادة المقطع الأخير منه مرتَّلاً، وذلك بعد نهاية الأودية السادسة من القانون

٨- أنواع القوانين:

إنَّ القوانين تُميَّز حسب موضوعها و مضمونها. وهكذا فإنّنا نجد أنواعاً مختلفة من القوانين:

١) "**فصحية** ἀναστάσιμοι": القوانين التي تتكلم عن القيامة وما يختص بها

٢) "**صليبية** σταυρώσιμοι": القوانين التي تتكلم عن حدث الصليب الكريم[٢٧]

٣) "**جنائزية** νεκρώσιμοι": القوانين التي تدور حول الموت وتذكار الأموات

٤) "**تضرعية** παρακλητικοί": القوانين التضرعية المتجهة نحو الربّ أو والدة الإله[٢٨]

٥) "**ثالوثية** τριαδικοί": القوانين التي تتكلم عن الثالوث الأقدس

٦) "**والدية** θεομητορικοι" : القوانين التي تتكلم عن والدة الإله

٧) "**خشوعية** κατανυκτικοί": القوانين الخشوعية

وهناك قوانين للقديسين، وأنواع أخرى من القوانين تتميّز باختلاف مضمونها

(٢٧) هناك بعض القوانين التي تتكلم عن الصلب والقيامة معاً فتسمى: "σταυροαναστάσιμοι"
(٢٨) تسمى أيضاً: "ικετήριοι"

ثانياً: ناظمو هذه الحقبة:

ظهر هذا النمط الشعري الجديد مرتبطاً بأسماء بعض ناظمي التسابيح الكبار كأندراوس الكريتي ويوحنا الدمشقي وآخرين

لقد كانت مراكز هذا النظم الكنسي دير القديس سابا في أورشليم من ناحية، ودير الستوذيتي في القسطنطينية من ناحية ثانية، بالإضافة إلى المدن اليونانية في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا

وهكذا فإنّ واضعي القوانين يقسَّمون إلى مدارس ثلاث: الساباويين في أورشليم، الستوذيتيّين في القسطنطينية، والإيطاليين اليونان في جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية (الذين يقسمون إلى قسمين أيضاً: مدرسة الـ سِيراكُوسُون Συρακουσῶν، ومدرسة الـ كْرِيبْتوفِيرِّيس Κρυπτοφέρης)

بالإضافة الى هذه المجموعات الكبيرة من الشعراء التي نشأت في مراكز رهبانية، يمكننا أن نلاحظ وجود مجموعات أخرى صغيرة من الشعراء كالسينائيين وغيرهم. وإنّنا سنعرّج بتفصيل على كلٍّ من هؤلاء الناظمين في باب لاحق

الفصل الرابع

الحقبة الرابعة (القرن ١١ م. وما بعد)

إنَّ الحقبة الرابعة تبتدىء في القرن الحادي عشر، وتمتد حتّى ما بعده. إذ أنّ النظم الكنسي، بالرغم من تشكّل الكتب الليتورجية وانتظامها في القرن الحادي عشر، لم ينقطع أو يتوقف

لقد استمر النظم منذ هذا الزمن وحتى ما بعده بناءً على الأسس والقواعد التي وُضعت عبر العصور السابقة، وقد أغنى هذا الخدم الطقسية والأعياد الكنسية

ولكن الشيء الجديد في هذه الحقبة هو ظهور "تقاريظ جناز المسيح Τά ἐγκώμια τοῦ ἐπιταφίου" ، التي ترتّل في سحر يوم السبت العظيم (مساء الجمعة العظيمة)، والتي دخلت على التيبيكون في النصف الثاني من القرن الخامس عشر

لقد ظهر في هذه الحقبة، بالطبع، بعض الناظمين كيوحنا مافْرُوبُّوس ويوحنا ثيكاراس والأمبراطور ثيوذورس الثاني لاسكاريس، الذين أضافوا إلى الخدم الكنسية، تسابيحَ جميلة، وسنأتي في الفصل اللاحق على دراسة ذلك بالتفصيل

الباب الثاني

الشعراء الكنسيّون

لقد عرفت الاجتماعات الليتورجية التسابيح والترانيم منذ السنوات الأولى، ولكنّ النظم الكنسي لم يتبلور ويأخذ أشكاله النهائيّة إلاّ في حوالي القرن السادس الميلادي

سنتعرّف في هذا الباب على أهمّ واضعي التسابيح (حياتهم، أعمالهم، ميزاتهم)، وفق الحقبات الزمنية التي ظهروا فيها، والتي رافقتها أشكالٌ شعريّةٌ محدّدة

الفصل الأول

الحقبة الأولى (القرن ١-٥ م.)

عرفت القرون الأولى الترنيمَ والتسابيحَ في الاجتماعات الليتورجية، كما سبق وذكرنا، وقد حُفظ لدينا العديد من تلك التسابيح القديمة، والتي استمرّ البعض منها في الاستعمال الليتورجي حتّى الآن

هناك بعض التسابيح المتأتية من الكتاب المقدّس، بعهديه القديم والجديد، والبعض الآخر محفوظ في المصادر القديمة ككتاب "تعليم الرسل الاثني عشر"، و "الأوامر الرسولية"... إلخ. والتي سبق أن تكلّمنا عنها

والقسم الأخير يعود إلى أشخاص معيَّنين، عُرِفوا كناظمين وشعراء، أمثال مليتون، وميثوديوس الأولمبي، وغريغوريوس اللاهوتي، وإفرام السوري...إلخ. وإنّنا في هذا الفصل سنتعرّف على الأشخاص الذين عُرفوا بالنظم والشعر حتّى نهايات القرن الخامس الميلادي

١- مِليتون سارْذِيون Μελίτων Σαρδέων :

تحفظ لنا المصادر عظة فصحية لمليتون، نختار منها المقطع التالي:

لأنَ الناموس قد صار كلمة

والقديمَ قد صار جديداً

خارجاً من صهيون

وأورشليم

والوصية قد صارت نعمة

والرمز حقيقة

والحمل ابناً

والخروف إنساناً

والانسان إلهاً

فبما أنّه ابن قد ولد

وكخروف قد ذُبح

وكإنسان قد دُفن

وكإله قد قام من بين الأموات

لأنّه إله وإنسان معاً

الذي له كلّ شيء...

هذا هو يسوع المسيح

الذي له المجد

إلى دهر الداهرين

آمين"[٢٩]

٢- كليمندس الاسكندري:

يذكر كليمندس استعمال الأناشيد والترانيم في الاجتماعات الليتورجية[٣٠]. وهناك نشيد له يُعرف بـ "نشيد الأولاد"، محفوظ في كتابه "المؤدّب Παιδαγωγός" ويتألّف من ٦٤ استيخن، وهو يتوجّه نحو المسيح[٣١]:

(٢٩) راجع Μελίτωνος Σαρδέων، عظة حول الفصح، طبعة ١٩٦٦، O. Perler, Paris، صفحة ٦٤

(٣٠) Παιδαγωγός II, 4

(٣١) BEΠES, 7, 233 & PG. 8, 281-282 Paid. G , XII

"أنت لجام الأحصنة غير الناطقة

جَناح الطيور المخلوقة

المقود الأمين للأطفال

الراعي للخراف الملكية..."

٣- ميثوديوس الأُولمبي (+٣١٢م.):

يظهر في القرن الرابع بعض الشعراء الذين اتّبعوا طريقة النظم الكلاسيكية لأهداف ليتورجية، وأولهم ميثوديوس الأولمبي، الذي ينسب اليه النشيد المعروف بـ "مأدبة العشر عذارى Συμπόσιον τῶν δέκα Παρθένων" ويتألّف هذا النشيد من ٢٤ مقطعاً متتابعاً حسب أحرف الهجاء، وكلّ مقطع يتألّف من ثلاثة أسطر، وينتهي بلازمة تتكرّر في كلّ مقطع

٤- غريغوريوس النزينزي (٣٢٩-٣٩٠م.):

يُعتبر القديس غريغوريوس من الشعراء الكنسيين اللامعين، وقد وضع العديد من الأشعار. وقد استعمل في أشعاره المقاييس الشعرية القديمة

من أهمّ أشعاره "النشيد المسائي Ὕμνος ἑσπερινός"، الذي يتألّف من خمسين استيخن:

"والآن أيضاً نسبحك. يا كلمة الله مسيحي.

النور من النور الذي لا بدء له..."

وكذلك "مديح لبتول Πρός Παρθένον Παραινετικός" الذي يتألف من مائة استيخن:

"١. أيّتها البتول عروس المسيح

مجّدي عريسك.

٢. طهّري ذاتك دوماً

بالكلمة والحكمة.

٣. كي تعيشي الدهر

للمضيء مضيئة لامعة..."

٥- سينيسيوس الكيريني Συνέσιος Ο Κυρήνης (٣٧٠-٤١٣م.):

وضع سينيسيوس بْتُولِمايِيذُوس Συνέσιος ὁ Πτολεμαΐδος تسعة تسابيح رفيعة النظم، ولكنّها بقيت كأشعار خاصة ولم تدخل في الحيّز الليتورجي

٦- نونُس البانوبوليتيس Νόνος Ο Πανοπολίτης :

عاش نونُس في بدايات القرن الخامس في منطقة ثيبة Θηβαΐδα، وكان متعلّماً وضليعاً في اللغة اليونانية. وقد نظم إنجيل يوحنا شعراً

الفصل الثاني

الحقبة الثانية (القرن ٦-٧ م.)

نما الشعر الكنسي شيئاً فشيئاً، وشقَّ طريقه في هذه الفترة، إنّما هناك الكثير من الترانيم الكنسيّة التي لا تحمل اسم واضعها، الأمر الذي يجعل معرفة أسماء الشعراء الكنسيّين صعباً، خاصة في بدايات هذه الحقبة. وقد حُفظت لنا بعض أسماء ناظمي التسابيح أمثال آنثيموس وتيموكليوس اللذين نظما طروباريات حوالي سنة ٤٦٤ م. وقد اشتهر في هذا الوقت أيضاً الأنبا إفكسنديوس الذي شكّل أجواقاً من رجال ونساء، كانت تقيم الخدم في كنيسة القديسة إيريني في القسطنطينية، وكانت طريقة إنشاده بأن يُتلى استيخن من الكتاب المقدّس، ويجيب عليه الجوق بترنيمة:

* القوات في السماوات

يرسلون لك التسبيح

ونحن الذين على الأرض

نرفع لك التمجيد

قدوس قدوس قدوس هو الرب

ملأنة السماء

والأرض من مجدك

* يا ربَّ القوات

يا من تألّم وقام

ودفـــن وصـــعـــد

وسـيـأتـي لـيـديـن الـعـالم

ارحـمـنـا وخـلّـصـنـا

*** ابتهجوا أيّها الصدّيقون بالربّ**

وتشـفّـعـوا مـن أجـلـنـا

الْـمَـجْـدُ لك يـا ربّ

يـا إلـهـنـا[٣٢]

أمّا الشعراء الهامّون في هذه الحقبة فهم:

١ – رومانوس المرنِّم:

يُعتبر رومانوس المرنِّم أعظم المرنمين، وأكثرهم عمقاً، ويمتاز بجمال لغته وفصاحتها ودقة مشاعره وحماسه

تذكر المصادر أنّ رومانوس قد عاش في أيام الأمبراطور أنسطاسيوس، الأمر الذي يخلق بعض الالتباس حول زمن ولادته، لأنَّ تلك المصادر لا تذكر إن كان الأمبراطور هو أنسطاسيوس الأول (٤٩١ – ٥١٨م.)، أم أنسطاسيوس الثاني (٧١٣ – ٧١٦م.). لكن أغلبية العلماء يتّفقون اليوم على أنَّ الأمبراطور هو أنسطاسيوس الأول

وهكذا فإنَّ الأيام الذهبية لرومانوس كانت في زمن ملك الأمبراطور يوستينيانوس (٥٢٧ – ٥٦٥م.). وهذا يعود للأسباب التالية:

(٣٢) راجع ترامبلا، المرجع السابق، ص ١٦٨–١٦٩

أ– إنَّ رومانوس لا يذكر في كلّ أشعاره أيَّ قديس من الذين ما بعد القرن السادس

ب– يُذكر في عجائب القديس أرتيميوس أنَّ شاباً مريضاً قد شُفي في عيد القديس، وهو "يرتّل الاستيخونات ρά(*) لرومانوس". وإنَّ هذا النص يعود لأيام هرقل (٦١١ – ٦٤١م.)، الأمر الذي يؤكّد أنَّ مؤلفات القديس كانت معروفة تلك الأيام

جـ – إنَّ رومانوس يتكلّم في إحدى ترانيمه عن كنيستَي "الحكمة المقدّسة" و "القديسة إيريني" في القسطنطينية، وهما في حالة من الخراب والدمار. من المعروف أنَّ خراب الكنيستين قد تمَّ في أواسط شهر كانون الثاني سنة ٥٣٢م.، وأما تدشين كنيسة الحكمة المقدَّسة المجدَّدة فقد تمَّ سنة ٥٣٧م.، وهكذا فإنَّ هذه الترنيمة تعود إلى السنوات ٥٣٢ – ٥٣٧م.

وُلد رومانوس إذاً في الربع الأخير من القرن الخامس في مدينة حمص في سوريا، من أبوين مسيحيّين. وأصبح شمّاساً في كنيسة القيامة في بيروت، وذهب فيما بعد إلى القسطنطينية أيام ملك الأمبراطور أنسطاسيوس الأول، حيث مكث في دير للسيدة العذراء في كيرو ἐν τῇ Κύρου. وهناك بدأ عمله الشعري، ونظم أعداداً كثيرة من القناديق والترانيم، وقد أنهى حياته بسلام في ديره كشمّاس

عمله الشعري غني جداً، وقد ترك لنا أشعاراً كثيرة، وقد حاول البعض من الباحثين أن يحصوا أعماله وأناشيده وأن يصنّفوها في لائحة خاصة به

وأهمّ هذه الدراسات اليوم هي الثلاث التالية:

-Τωμαδάκη, N. Ρωμανοῦ τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι, ἐκδιδόμενοι ἐκ Πατμιακῶν Κωδίκων, Τ. Α΄-Δ΄. Ἀθῆναι, 1952 - 1961.

(*) ρά : حرف ببداية الجملة.

- José Grosdidier de Matons, Romanos le Mélode, Hymnes, εκ 1964, II 1965, III 1966, IV 1967. SC. 99, 110, 114, 128.

- P. Maas-c. Trypanis, Sancti Romani Melodi Cantica, t. I Oxford 1963, t. II Berlin 1970.

يلجأ رومانوس بشكل عام، للحصول على مادة لنظمه، إلى الكتاب المقدَّس وحياة القديسين (السنكسارات)، ومواعظ الآباء وتفاسيرهم، وإلى الحوادث الحاصلة في أيامه. ويمتاز شعره من ناحية بلغته القريبة إلى اللغة العامية في ذلك الوقت، بغية تقبّلها من المؤمنين ومشاركتهم بها، ومن ناحية أخرى ببساطته وقوّة الحوار

تبدو الشخصيات في أشعاره حيّة تشدّ المؤمنين إليها بطريقةٍ واقعيةٍ رائعة. ومن أهمّ أشعاره قناديق كلّ من عيد الميلاد، والاثنين العظيم (يوسف الحكيم)، والجمعة العظيمة

قنداق الميلاد

᾽ακροσ. τοῦ ταπεινοῦ Ρωμανοῦ ὕμνος

التطريز: "التسبيح للحقير رومانوس"

المقدّمة (Προοίμιον):

اليوم البتول تلد الفائق الجوهر،

والأرض تقرّب المغارة لِمَنْ هو غير مقترب إليه.

الملائكة مع الرعاة يمجّدون،

والمجوس مع الكوكب في الطريق يسيرون.

لأنّه قد ولد من أجلنا

صبيٌّ جديد

الاله الذي قبل الدهور

البيت الأول:

هلمّوا بنا لنشاهد بيت لحم كيف فتحت

عَدْناً، ونجد النعيم في مكان الخفاء. هلمّوا

لنجتني محاسن الفردوس في داخل المغارة،

فإنّه قد ظهر هناك أصلٌ بغير سقاية،

مفرعاً غفراناً. هناك وُجِدت بئرٌ غير

محفورة، قد اشتاق داوود أن يرتشف

منها قديماً. هناك بتول قد ولدت

طفلاً، فسكّن للحال ظمأ آدم وداوود.

فلنتقدّمن إليه إذاً، فإنّه قد وُلد

صبيٌّ جديد،

الاله الذي قبل الدهور

قنداق الجمعة العظيمة

لآلام ربنا يسوع المسيح ونوح والدة الاله

Ακροσ. τοῦ ταπεινοῦ Ρωμανοῦ

التطريز: "للحقير رومانوس"

المقدّمة:

هلمّ جميعنا نسبّح / المصلوب من أجلنا.

هذا رأته مريم / على الخشبة فقالت:

وإن كنتَ احتملتَ الصلب طوعاً

فأنت لم تزل

ابني وإلهي

البيت الأول:

إنَّ النعجة مريم لمّا أبصرت حَمَلَها مجذوباً

إلى الذبح، تبعته بصحبة نسوة أخريات

مضطربة وهاتفة هكذا: إلى أين تنطلق؟

يا ولدي، ولماذا تكمّل هذا السعي مسرعاً،

ألعلَّ في قانا عرس آخر فتبادر الآن إليه لكي

تجعل لهم الماء خمراً. أأذهب معك أو أنتظرك

بالأحرى. فأعطني كلمةً أيّها الكلمة ولا تجزني

صامتاً، يا مَنْ حفظني نقيةً، لأنك لم تزل

ابني وإلهي

٢ – صفرونيوس الأورشليمي (+٦٣٨م.):

إنّ بطريرك أورشليم صفرونيوس (٦٣٤–٦٣٨م.) يحتلّ مكانة مميَّزة فيما بين شعراء هذه الحقبة، ويعتبر من أهمّهم. أصبح بطريركاً في أورشليم عام ٦٣٤ م. وقد جاهد، وهو بعد راهب، بقوة ضدّ أصحاب المشيئة الواحدة، وامتاز بحكمته وفصاحته وبلاغته وقوته في اللاهوت والعقيدة

لقد استعمل صفرونيوس النمط الشعري المعروف بـ "أشعار قياسية على مقام النظم الأناكْريوندي Τονικόν ἀνακρεόντειον μέτρον"، وقد أغنى هذا النمط كثيراً، وأعطاه ميزات وصفات جديدة، وقد أكمل سمعان اللاهوتي الجديد فيما بعد هذا النمط الشعري[٣٣]

لقد وضع صفرونيوس أشعاراً كثيرة ومهمّة، ومنها ما يزال في الاستعمال الليتورجي مثل إيذيوملات ساعات عيد الميلاد وطروباريات تقديس المياه في الظهور الالهي وأنديفونات سحر الجمعة العظيمة

إيذيوملات ساعات عيد الميلاد:

الساعة الأولى

إيذيوملا (باللحن الثامن)

إستعدي يا بيت لحم، وليتأهّب المذود، وتتقبّل المغارة، فإنّ الحقيقة قد جاءت، والظلّ قد جاز، والاله قد ظهر للبشر من البتول، ظاهراً على صورتنا ومؤلّهاً طبيعتنا، فلذلك قد تجدّد آدم مع حواء هاتفَين: لقد ظهرت المسرّة على الأرض لتخلّص جنسنا

(٣٣) تتابع الأبيات حسب التطريز، كل أربعة استيخونات، يتألف الواحد منها من ثمانية مقاطع. وتعترض هذه الأبيات مقاطع تتألف من استيخونين (تعرف بـ κουκούλια)، ويتألف الواحد منها من اثني عشر مقطعاً. راجع ترامبلا، المرجع السابق، ص ٢٤٨–٢٥٤

إيذيوملا (باللحن السادس)

اليوم يولد من البتول الضابط الخليقة بأسرها في قبضته، الذي هو بجوهره غيرملموس، يُدرج في الأقمطة كطفل، الاله الذي ثبّت السماوات قديماً منذ البدء يتكئ في مذود، الذي أمطر للشعب منّاً في القفر، يغتذي من الثديَين لبناً، ختن البيعة يستدعي المجوس، وابن العذراء يتقبّل منهم الهدايا، نسجد لميلادك أيها المسيح، فأرنا ظهورك الالهي

طروباريات تقديس المياه في الظهور الالهي:

باللحن الثامن

صوت الرب على المياه يهتف قائلاً: هلمّوا فخذوا جميعكم روح حكمة، روح فهم، روح مخافة الله، بظهور المسيح

اليوم طبيعة المياه تتقدّس، والأردن ينشقّ وتُمسك مياهه عن الجري، إذ يشاهد السيد فيه مغتسِلاً

أيها المسيح الملك، قد أتيت الى النهر كإنسان، فأنت تبادر أيها الصالح، لتتقبّل المعمودية كعبد، من يَدَي السابق لأجل خطايانا، أيها المحبّ البشر

ذكصا كانين

نحو الصوت الصارخ في البريّة، أعدّوا طريق الربّ. قد أتيتَ يا ربّ آخذاً صورة عبد. ملتمساً المعمودية يا مَنْ لا يعرف خطيئة. فالمياه قد أبصرتك ففزعت، والسابق ارتعد وصرخ قائلاً: كيف يستضيء النور من المصباح. كيف يضع العبد يده على السيد. فقدّسني والمياه أيها المخلّص الرافع خطيئة العالم

أنديفونات سَحَر الجمعة العظيمة:

الأنديفونة الأولى (باللحن الثامن)

رؤساء الشعوب اجتمعوا على الربّ وعلى مسيحه. كلاماً مخالفاً للناموس ألّفوا عليّ فيا ربّ يا ربّ لا تهملني. لننصب حواسنا لدى المسيح طاهرة وكمحبّيه نضحّ نفوسنا لأجله، ولا نختنق مثل يهوذا بالمهمات الدنيوية، لكن نهتف في مخادعنا يا أبانا الذي في السماوات نجّنا من الشرير

ذكصا كانين

أيتها العديمة خبرة الزواج، لقد ولدتِ وأنت عذراء ولبثتِ عذراء وأمّاً لا عريس لها، يا مريم والدة الاله، فتشفعي الى المسيح الهنا أن يخلّصنا

الأنديفونة الخامسة عشر

اليوم علّق على خشبة الذي علّق الأرض على المياه. إكليل من شوك وُضع على هامة ملك الملائكة. برفيراً كاذباً تسربل الذي وشّح السماء بالغيوم. قَبِلَ لطمةً الذي أعتق آدم في الأردن. ختن البيعة سُمِّر بالمسامير، وابنُ العذراء طُعِنَ بحربةٍ.

نسجد لآلامك أيها المسيح.

فأرنا قيامتك المجيدة

٣- جاورجيوس البيسيدي (٦١٠-٦٤٠م.):

ينحدر جاورجيوس من أنطاكية بيسيدية، وكان شمّاساً في الكنيسة العظمى أيام البطريرك سرجيوس، وقد امتاز بأشعاره Ιαμβικοί بشكل خاص، وبلغته البسيطة والواضحة وبلاغتها

يعتقد البعض بأنّه واضع المديح الذي لا يُجلس فيه، وكذلك ينسب اليه آخرون الترنيمتين: "**الآن قوات السماوات...**" و "**ليمتلىء فمي من تسبحتك...**" (الترنيمة التي أصبحت تُرتَّل بعد مناولة القرابين الالهية منذ عام ٦٢٤م. أيام البطريرك سرجيوس). لقد وضع أناشيد جميلة ومن أهمها الأيام الستة، وحول القيامة

٤- سرجيوس بطريرك القسطنطينية:

عاصر سرجيوس جاورجيوس البيسيدي، وينسب اليه البعض المديح الذي لا يُجلس فيه، الذي اختلفت الآراء حول واضعه. هناك مخطوطان يشهدان على نسبة المديح الى سرجيوس وهما:

المخطوط الباريسي ذو الرقم ٢١٢ Suppl. Gree.

المخطوط ذو الرقم ١٤ في مكتبة القديس مرقس في Venetia

٥- جاورجيوس المرنّم:

تكلّم جاورجيوس هذا كثيراً عن العذراء والدة الاله، ولكننا لا نعرف من هو هذا المرنّم، لأنّ الكثير من المرنّمين يحملون هذا الاسم مثل جاورجيوس النيقوميذي Νικομήδεια، وجاورجيوس الرامّاتِيس Ραμμάτης، وجاورجيوس الخطيب والباخِيميرِس Παχυμέρης، والسْكُولاريُوس Σχολάριος، والسْكِيليتْسيس Σκυλίτσης، وآخرين

ولكنّ جاورجيوس هذا كان معاصراً على الأغلب لسرجيوس لتشابه أعماله معه. إنّ القنداق الذي يرنّم في دخول السيدة الى الهيكل في ٢١ تشرين الثاني يحمل اسم جاورجيوس في "التطريز: للحقير جاورجيوس"

ἀκροσ: Τοῦ Ταπεινοῦ Γεωργίου ὕμνος

* المقدّمة: **إنَّ الهيكل الكليّ النقاوة هيكل المخلّص، البتول الخدر الجزيل الثمن، والكنز الطاهر لمجد الله، اليوم تدخل الى بيت الربّ، وتُدخل معها النعمة التي بالروح الالهي. فلتسبّحها ملائكة الله، لأنها هي المظلة السماوية**

* البيت الأول: **إنّني إذ أعاين أسرار الله الإلهية الغامضة الوصف. أعني النعمة ظاهرة في البتول وتامّة فيها علانية، أفرح وأتحيّر في فهم الحال المستغربة الغامضة الوصف. كيف الطاهرة ظهرت وحدها مختارة، بما يسمو كل الخليقة المنظورة والمعقولة. لذلك إذ أشاء مدحها أندهش جداً بالعقل والقول، إلا أنني أتجاسر، وأكرز بها، وأعظّمها ،لأنّها هي المظلّة السماوية**

٦- ضوماتيوس المرنّم:

يعتبر البعض أنّ ضوماتيوس لا يبتعد عن مدرسة رومانوس، فإنّه يستعمل أرمس ووزن النشيد الموضوع من قبل رومانوس لعيد الميلاد

قنداق لولادة يوحنا المعمدان – باللحن الثالث

وزن: ἀκροσ : Εἰς τόν πρόδρομον Δομέτιον Ἡ Παρθένος σήμερον

اليوم العذراء "إلى السابق، لضوماتيوس" : التطريز

* المقدّمة : **إنَّ العاقر قبلاً تلد اليوم سابقَ المسيح، الذي هو كمال كلّ النبوءات. لأنّ الذي سبق الأنبياء وكرزوا به، قد وضع هو يده عليه في الأردن، فظهر نبيًّا كارزاً بكلمة الله وسابقاً له**

٧- كرياكوس المرنّم:

عاصر كرياكوس على الأغلب رومانوس المرنّم، إن لم يكن أقدم منه كما

يقول البعض، إذ إنّه يستخدم كمقياس للنظم الأرمس "لعازر Τόν Λάζαρον" الذي يستخدمه رومانوس أيضاً تكراراً، علماً بأنَّ هذين الشاعرَين وحدهما اللذان يستعملانه

٨- كوكولُن Κούκουλος (قنداق الافتتاح) :

ليس من المؤكّد إن كان هذا الاسم اسماً حقيقياً للناظم أم أنّه يتعلّق بنوعيّة أو مقياس وزني أو موسيقي. ففي مخطوط تورينوس Taurinensis نجد العبارة: " Ἦχος Πλ.Β΄ Τό Κουκουλ. ἰδιόμελον " "باللحن السادس كولول، إيذيوملا"، ولكننا نعرف بعض المرنّمين المعروفين بـ بكوكوماس وكوكويليس، وأسماء أُخرى مشابهة

هناك قنداق يحمل اسم كوكولن يعود لـِ "إعادة وجود بقايا القدّيس الأول في الشهداء استفانوس"

٩- إيليا المرنّم:

عرفت أورشليم بطريركَين باسم إيليا، برز الأول منهما في السنوات ٤٩٤ – ٥١٨م.، أمّا الثاني فقد كان معاصراً للدمشقي وكوزما المرنّم وقد برز في السنوات ٧٤١ – ٧٦٧م. يعتقد الكثير من الباحثين بأنّ إيليا المقصود هنا هو الأول. وهناك عدّة قناديق تحمل اسمه. من أشهرها قنداق النبي إيليا

١٠- أنسطاسيوس المرنّم:

إشتهر الكثير من الرهبان السينائيين الذين يحملون اسم أنسطاسيوس، وهناك ما يعرف بـ "الخدمة السينائية"، التي نستخلص منها وجود الكثير من الشعراء السينائيين. من بين الأشخاص الثلاثة السينائيين المعروفين والذين يحملون اسم أنسطاسيوس، هناك اثنين منهم كانا مرنّمَين، وإلى أحدهما

يُنسب القنداق المعروف والمنظوم لخدمة الجنّاز والحامل "التطريز": "التسبيح للحقير أنسطاسيوس ἄκροσ ΄Αναστασίου τοῦ ταπεινοῦ αἶνος" ويسمّي هذا الناظم نفسه في قناديقه بـ: الخاطىء، الحقير، الشقي. ويعتقد بعض الباحثين بأنّه أنسطاسيوس الأول (٥٥٩ – ٥٩٩م.)، صديق غريغوريوس الكبير

هذا، ويُنسَب إلى زمن هؤلاء الناظمين السينائيين الكثير من القناديق (قنداق لسبت مرفع اللحم، وآخر لسبت مرفع الجبن... إلخ)

١١- كبريانوس المرنّم:

يظهر كبريانوس من بين الشعراء القدماء، خاصة في كتاب الميناون، حيث نجد العديد من الطروباريات المنظومة على وزن "بيت افراثا Οἶκος τοῦ ΄Εφραθά" تحمل اسمه في شهر كانون الثاني. ولكننا نجد بعض الطروباريات المدموجة مع طروباريات كبريانوس والمنظومة على الوزن نفسه، والتي تشكّل بـ "تطريزها" اسم نيقولاوس (بالصيغة المختصرة) ἄκροσ : NIKO، وهذا ما يدلّ على وجود ناظم آخر اسمه نيقولاوس. وهذا أمر معقول إذ إنّ الترانيم القديمة كانت قصيرة ومجهولة الناظم بالعموم:

" يا بيت إفراثا،

أيّتها المدينة المقدّسة،

ومجد الأنبياء،

هيِّئي البيت،

الذي فيه

يُولَد الإله"

" هيئي مبتهجةً يا بيت لحم أرض يهوذا،

المكان الذي هو بحسب الجسد،

المغارة الإلهيّة،

التي فيها يُولَد الإله بالجسد،

من البتول القدّيسة

التي لم تعرف رجلاً،

لكي يخلّص جنسنا "

١٢ ـ أيوب المرنّم:

هناك طروباريات على وزن "بيت إفراثا" أيضاً، تحمل اسم أيوب ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذا الشخص

إننا نعرف ناظماً يحمل اسم أيوب في القرن الثاني عشر، قد نظم مديحاً للملكة ثيوذورة زوجة الأمبراطور ميخائيل الكوفيني، ولكنّ أيوب الذي نتكلّم عنه هو أقدم بكثير من هذا الأخير كما يظهر من الطروباريات التي تحمل اسمه

١٣ ـ سمعان الجبل العجيب:

لمع في هذه الفترة أيضاً القدّيس سمعان الجبل العجيب (٥٢٧ – ٥٩٥م.)، الذي لُقِّب بهذا الاسم نسبة إلى الجبل العجيب القريب من أنطاكية، حيث نسك. وقد وضع بروصوميات وإيذيوملات كثيرة، ونشيداً تضرعياً لهزّة أرضية قويّة حصلت في أيامه، والتي يرد ذكرها في حياة والدته القديسة مرتا. وإنّ الطروبارية المعروفة المنسوبة إلى سمعان، والمرتّلة في خدمة الهزّة، في ٢٥ تشرين الأول، تعود إليه على الأرجح

هناك الكثير من الشعراء القدماء، بالإضافة لما ذكرنا، والذين لا نعرف غير أسمائهم، ونذكر على سبيل المثال أندراوس البيرّي Πυρροῦ، وبيزنطيوس والراهب باسيليوس، واستفانوس وآخرين كثيرين...، وأمّا أندراوس البيرّي فيُنسب إليه إيذيوملات الإينوس في "١" و "٢٠" أيلول، وإيذيوملات ليتين "٢٦" أيلول و "٢٠" كانون الأول و "٢" شباط، وبروصوميات غروب "٢٩" حزيران، وذكصا ليتين "١" تموز

أمّا بيزنطيوس فيُنسب إليه الإيذيوملات في "١" و "٢" و "٦" و "١٦" و "٢٣" و "٢٦" و "٢٧" أيلول، و "١٤" و "٢٣" و "٢٦" تشرين الأول، و "٦" و "٨" و "١١" و "١٤" تشرين الثاني، و "٤" كانون الأول، و "٢١" أيار، و "٢٤" و "٢٩" حزيران، و "٨" و "١٥" و "٢٠" و "٢٤" و "٢٧" تموز

وقبل أن نختم حديثنا عن شعراء هذه الحقبة، علينا أن ننوّه إلى وجود العديد من الأناشيد المختلفة (طروباريات، كاثسماطات، إيباكوئي...)، التي تعود إلى هذه الحقبة، والتي لا يُعرف واضعها. وعلى سبيل المثال نذكر[٣٤]:

١ – طروباريات (أبوليتيكيون):

إنّ العديد من طروباريات الأعياد السيدية والوالدية يعود إلى هذه الفترة، مثل:

ـ للصعود: **صعدت بمجدٍ أيّها المسيح إلهنا...**

ـ للعنصرة: **مباركٌ أنت أيّها المسيح إلهنا...**

ـ للميلاد: **ميلادك أيّها المسيح إلهنا...**

(٣٤) راجع ترامبلا، المرجع السابق، ص ٢٦٢ – ٢٦٤

- للظهور: **باعتمادك يا ربّ...**

- للشعانين: **لمّا دُفنّا معك بالمعمودية...**

وهناك طروباريات أُخرى أيضاً، مثل:

- للرسل: **أيّها الرسل القدّيسون تشفّعوا...**

- للصليب: **خلّص يا ربّ شعبك...**

- للأبرار والأساقفة: **يا إله آبائنا...**

٢- كاثسماطات:

إنّ الكاثسماطات التي كانت ترتّل كوقفات على المزامير، قد دخلت منذ القديم في الاستعمال الليتورجي، كما يظهر من محادثات يوحنا وصفرونيوس بطريركَيْ أورشليم. وعلى سبيل المثال نذكر كاثسماطات سحر الاثنين العظيم والثلاثاء العظيم والأربعاء العظيم. وكذلك هناك بعض الكاثسماطات التي تقال فيما بين أوديات القوانين Παρῴδια أو Μεσῴδια، وعلى سبيل المثال نذكر[٣٥]:

١"- في خميس الصعود، كاثسما باللحن الثامن (على الأودية الثالثة من القانون):

أيّها الربّ، لقد ركبتَ على سحاب السماء وخلّفت

السلامة للذين على الأرض، وارتقيت صاعداً،

وجلست عن يمين الآب، بما أنّك مساوٍ له

وللروح في الجوهر، لأنّك وإن كنتَ حصلت

في بشرةٍ إلاّ أنّكَ لبثتَ غير مستحيل، وإنّك

(٣٥) ترامبلا، المرجع نفسه، ص ٢٦٤ – ٢٦٦

تنتظر النهاية الأخيرة لتوافي إلى الأرض

وتدين كلّ العالم، فاشفق على نفوسنا

يا ديّان العدل، وامنحنا صفح الذنوب،

نحن عبيدك، بما أنّك إلهٌ جزيل الرحمة

٢"- في سبت لعازر، كاثسما باللحن الرابع (على الأودية الثالثة من القانون):

إنّ أختَي لعازر حضرتا نحو المسيح باكيتَين

بمرارة، ونادبتَين، وقائلتَين: يا ربّ

لقد مات لعازر، وأمّا هو فبما أنّه إله،

لم يجهل محلّ الدفن، مع ذلك سألهما: أين

وضعتموه. وتقدّم إلى القبر، وصوّتَ

بلعازر ذي الأربعة أيام، فنهض ذاك

وخرّ ساجداً للذي أقامه

٣- إيباكوئيات:

دخل الإيباكوئي أيضاً باكراً في الاستعمال الليتورجي، وكان يرتّل في القديم مع استيخولوجيا كما يظهر في مخطوط كورسينيوس Κορσίνιος، التي نشرها بيترا Pitra في Analecta I, 671، حيث نجد مجموعة من الإيباكوئيات مع استيخولوجيا خاصة بكلّ واحد منها

وكان يرتّل مع كلّ استيخن من المزامير نهاية الإيباكوئي فقط (ليس كاملاً)، كما هو الحال في ترانيم غروب الميلاد والظهور حتّى اليوم

والجدير بالذكر أننا نجد في بعض المخطوطات الموسيقية، التي تحتوي على ترانيم سحر الأعياد السيدية والوالدية، الإيياكوئي في مقدّمة هذه الترانيم، وهذا ما يدلّ على أنّ الإيياكوئي كان بمثابة الطروبارية الابتهاجية لهذه المناسبات

راجع إيباكوئيات الآحاد من السواعي الكبير (تنقيح عبده يني بابادوبولس، منشورات النور، ١٩٨٧)، الصفحات ٥١٨ – ٥٢٣:

اللحـــن الأول : **توبة اللص...**

اللحـن الثـاني : **إنّ النسوة ذهبن...**

اللحـن الثـالـث: **ذو المنظر المدهش...**

اللحـن الرابـــع: **إنّ حاملات الطيب سبقن...**

اللحـن الخامس: **إن حاملات الطيب دهشن...**

اللحـن السـادس: **بموتك المحيي...**

اللحـن السـابع : **يا من اتّخذت صورتنا...**

اللحـن الثـامن : **إنّ حاملات الطيب حضرن...**

٤ – أفتوملات:

الأفتـومـلات هـي طـروبـاريـات قـديمة، تُـعتبر بمثابة الوزن والمقياس لطروباريات أخرى تنظم عليها. هناك العديد من الأفتوملات القديمة، والتي يُعتقد أنها تعود على الأغلب إلى هذه الفترة، مثل:

لحن أول

– Ὦ τοῦ παραδόξου θαύματος ῎Ω يا للعجب الباهر
– Τῶν οὐρανίων ταγμάτων للمصفّ السماوي

لحن ثان

– Ὅτε ἐκ τοῦ ξύλου σε νεκρόν῎ عندما عن العود وأنت مائت

لحن ثالث

– Τήν ὡραιότητα الجمال
– Θείας πίστεως الايمان الإلهي

لحن رابع

– Ὁ ὑζωθείς῾ المستحقّ
– Ἔδωκας σημείωσιν῎ معطياً إشارة
– Ἤθελον δάκρυσιν῎ أراد التدميع
– Ταχύ προκατάλαβε أدرك بسرعة
– Ὡς γενναῖον῾ كشجاع
– Κατεπλάγη ᾽Ιωσήφ انذهل يوسف
– Ὁ ἐξ ὑψίστου῾ مَنْ مِنَ العُلى

لحن خامس

– Τόν ξένον الغريب
– Μακαρίζομέν σε نغبطك
– Χαίροις ἀσκητικῶν فرح المتوحّدين
– Ὅσιε πάτερ῎ الأب البار

لحن سادس

– Ὅλην ἀποθέμενοι῎ المبتعدين عنها كلّها

لحن ثامن

– Τό προσταχθέν الأمر
– ῎Ω τοῦ παραδόξου θαύματος يا للعجب الباهر
– Τήν σοφίαν καί λόγον الحكمة والكلمة

٥ ـ كما يعود إلى هذه الفترة أيضاً بعض الأنديفونات، مثل الأنديفونات الخمس عشرة لسَحَرِ الجمعة العظيمة (وكانت هذه الأنديفونات تُقال مع استيخونات من المزامير، كما يشهد المخطوط رقم ٦١٤ للمكتبة الوطنية في أثينا)[٣٦]

أمّا البعض فينسب هذه الأنديفونات إلى صفرونيوس الأورشليمي

(٣٦) راجع بخصوص ذلك: ترامبلا، المرجع نفسه، ص ٢٦٩ – ٢٧١

الفصل الثالث

الحقبة الثالثة (القرون ٨-١١ م.)

تبتدىء هذه الحقبة مع أندراوس الكريتي، وتحتلّ ثلاثة مراكز أساسيّة:

١– **الساباويّون والسينائيّون**: وكان مركزهم في لافرا القديس سابا في فلسطين

٢– **القسطنطينيّون والستوذيتيّون**: برزوا في دير الستوذيت، بالقرب من القسطنطينية، الذي تأسّس عام ٤٦٣ م.

٣– **الإيطاليّون اليونان**: الذين كان لهم عدّة مدارس موسيقيّة، من أهمّها كانت مدرسة السيراكوسون Συρακουσῶν

لقد نما الشعر الكنسي كثيراً في هذه المدارس، واستمرّ على هذا الازدهار حتّى القرن الحادي عشر، حيث تظهر مرحلة جديدة في النظم الكنسي

أولاً: الساباويّون والسينائيّون

I - الساباويّون:

اشتهر الشعراء الساباويّون بنظم القوانين، وقد برز فيهم بشكل خاص أندراوس الكريتي، ويوحنا الدمشقي، وكوزما أسقف ميّومة، وثيوفانس الكاتب

١ ـ أندراوس الكريتي:

ينحدر أندراوس من دمشق (ولد حوالي منتصف القرن السابع)، وقد صار راهباً في سنٍّ مبكر في أورشليم (ولهذا يلقّبه البعض الأورشليمي). وقد خدم أمين سر في البطريركية ومساعد المدبِّر في القبر المقدّس

ذهب إلى القسطنطينيّة عام ٦٨٥م. كمبعوث من البطريركيّة الأورشليميّة، ورُسِمَ شمّاساً هناك، واستلم إدارة الميتم فيها. انتُخب ميتروبوليتاً على غورتينة في كريت في أوائل القرن الثامن، وقد عُرف باهتمامه في بناء وتجديد المعابد في رعيته، واشتهر بمواعظه الروحيّة

توفّي في السابع من تموز عام ٧٤٠ م. عندما كان عائداً في البحر من القسطنطينيّة إلى كريت، حيث كان المركب بالقرب من ليسْفوس Λέσβος، فدفن في شاطىء إرِيسُوس Ερεσός'، خلف الهيكل في الكنيسة الباسيليكي الكبيرة التي كانت هناك

يُقسم عمله إلى قسمين: قسم يتألف من خطب ومواعظ مختلفة، تعود في غالبيتها إلى أعياد والديّة وأعياد قدّيسين مختلفين، والنوع الثاني هو شعري، يتألف من تسابيح وأناشيد روحيّة لمناسبات مختلفة في السنة الطقسيّة

يعتبر بعض الباحثين أندراوس الكريتي باعثَ الشكل الشعري الجديد، ألا وهو "القانون"، فقد لعب دوراً كبيراً في نموّه وتطوّره

لقد كان ناظماً كبيراً وعظيماً، وهو يسمو على جميع الناظمين من ناحية التنوّع في أشعاره، وكثرة الأراميس المستخدمة فيها. ولكنّه يظهر على وتيرة واحدة في النّظم. كما أنّ غالبية الأراميس المستخدمة في أشعاره متأتّية من التسابيح الكتابيّة، أمّا الطروباريات اللاحقة لهذه الأراميس فلم تكن منتظمة تماماً حسبها، كما يفترض نظام المقاطع المتساوية. لقد وضع أندراوس قوانين ثلاثيّة الأودية Τριῳδια، ترتّل في صلوات النوم من الصوم الأربعيني، وإيذيوملات وإستيشيرات أيضاً لمناسبات مختلفة:

إيذيوملات إينوس عيد الميلاد وإستيشيرات ٢٩ حزيران، والتي تعتبر من أهم مؤلفاته، وإيذيوملات ليتين: الرسولَين بطرس وبولس، ودخول السيد

إلى الهيكل، والبشارة، ورفع الصليب والرسول أندراوس (٣٠ تشرين الثاني)، وميلاد السابق (٢٤ تمّوز)، وديونيسيوس الأريوباغي (٣ تشرين الأول)، والشهداء بروفوس وطاراخوس وأندرونيكوس (١٢ تشرين الأول)، والقدّيس ديمتريوس (٢٦ تشرين الأول)، وأطفال بيت لحم (٢٩ كانون الأول)... إلخ

كما وضع قوانين لمناسبات مختلفة: ميلاد السيدة (٨ أيلول)، الحبل بالقدّيسة حنّة (٩ كانون الأول)، القديسون المكابيون (١ آب)، قطع رأس السابق (٢٩ آب)، القدّيس إغناطيوس المتوشّح بالله (٢٠ كانون الأول)، نصف الخمسين، وأحد حاملات الطيب

إنّ القانون الكبير يُعتبر من أشهر مؤلفات أندراوس، وهو يتألّف من ٢٥٠ طروباريّة، (وقد أضيف إليه فيما بعد طروباريات أخرى لإكرام أندراوس ومريم المصريّة، فصار عددها ٢٨٠)

لقد وضع أندراوس طروباريات على عدد استيخونات التسابيح الكتابيّة، كي ترتّل طروباريّة على كلّ استيخن

يدور هذا القانون الكبير حول التوبة، ويرتّل بكامله في سحر الخميس من الأسبوع الخامس من الصوم الأربعيني، وكذلك على مراحل من الأسبوع الأول من الصوم. ويلجأ فيه إلى العهد القديم والجديد حيث يستخلص منهما نماذج للتوبة[٣٧]

---

(٣٧) راجع:

Π. Χρήστου, Ὁ Μέγας Κανών Ἀνδρέου Κρήτης, Θαυμακοῦ, Ὁ Μέγας Θεσ/νίκη 1952. Καί Χρυσοστόμου, Κανῶν Ἀνδρέου Κρήτης, Ἐκκλησία, ΛΖ΄ (1960), 103-105 καί Γρηγ. Παλαμᾶ, ΚΕ (1941), 11.

نصوص:

١"- من القانون الكبير:

أرمس الأودية الأولى (باللحن الثامن)

معيناً وساتراً صار لي للخلاص، هذا هو إلهي فأمجّده، إله أبي فأرفعه، لأنّه بالمجد قد تمجّد

طروباريات

أيّها المسيح، من أين أبتدئ أنوح على أفعال عمري الشقيّ، وأيّما ابتداءٍ أصنعه للمناحة الحاضرة، لكن بما أنك متحنّن، هبني صفح الزلات

هلمَّ أيّتها النفس الشقيّة مع بشرتكِ اعتريفٍ لباري الكلّ، وابتعدي إذاً عن بهيميّتك الأولى، وقدّمي لله مع التوبة دموعاً

أرمس الأودية الثانية

اسمعي يا سماء فأتكلّم، وأسبّح المسيح الذي قدم بالجسد من البتول

أرمس الأودية الثالثة

أيّها المسيح شدِّد كنيستك على صخرة وصاياك غير المتزعزعة

أرمس الأودية الرابعة

يا ربّ سمع النبي بقدومك فجزع، وأنك عتيد أن تُولَد من البتول وتظهر للناس، فقال: إني سمعت سماعك فجزعت، المَجْدُ لقدرتك يا ربّ

أرمس الأودية الخامسة

من الليل أدَّلج ضارعاً أيّها المحبّ البشر، فأنِرني وأرشدني إلى أوامرك، وعلّمني يا مخلّص أن أصنع إرادتك

أرمس الأودية السادسة

صرخت من كلّ قلبي إلى الإله الرؤوف، فاستجاب لي من الجحيم السفلي، وأصعد من الفساد حياتي

أرمس الأودية السابعة

قد أخطأنا وأثمنا وظلمنا أمامك، وما حفظنا ولا صنعنا كما أمرتنا، لكن لا تسلمنا إلى الانقضاء يا إله آبائنا

أرمس الأودية الثامنة

أيّتها الخليقة مع كلّ نسمة، سبّحوا وباركوا الذي تمجّده أجناد السموات، وترعب منه الشيروبيم والسيرافيم، وارفعوه إلى جميع الأدهار

أرمس الأودية التاسعة

إنَّ الولادة لا تُفسّر، لأنّ الحبلَ بغيرزرعٍ ولا فساد من أمٍّ غيرعارفة خبرة رجل، لأنّ ولادة الإله قد جدّدت الطبائع، فلذلك بإيمان مستقيم، تعظّمكِ كلّ الأجيال بما أنّكِ أمٌّ عروس الله

٢"- من قطع إينوس الميلاد:

باللحن الرابع

إفرحوا أيّها الصدّيقون، ويا أيّتها السماوات ابتهجي، وتهلّلي أيّتها الجبال بميلاد المسيح. البتول جالسةٌ مماثلةً الشيروبيم، حاملةً في أحضانها الإله الكلمة متجسّداً، الرعاة للمولود يمجّدون، المجوس للسيد يقرّبون هدايا، والملائكة يسبّحون قائلين: أيّها الربّ المحجوب عن الإدراك، المَجْدُ لك

الآب سُرَّ مرتضياً، الكلمة صار جسداً، والبتول وَلدت إلهاً متأنساً. الكوكب يبشّر، المجوس يسجدون، الرعاة يتعجّبون، والخليقة تبتهج

يا والدة الإله البتول، يا من وَلَدت المخلِّص، لقد نقضتِ لعنة حواء القديمة، لأنّكِ حصلتِ أمّاً لمسرّة الآب، حاملةً في أحضانك الإله الكلمة متجسّداً. فالسرّ لا يحتمل فحصاً، بل جميعنا نمجّده بالايمان فقط، صارخين معكِ وقائلين، أيّها الربّ الذي لا يُدرك، المَجْدُ لك

٣"- من أبوستيخن غروب ٢٩ حزيران، إيذيوملات:

باللحن الأول

أيّها الرسول بولس المجيد، مَنْ ذا الذي يصف أغلالك التي في المدن، وضيقاتك. أو مَنْ يشرح جهاداتك وأتعابك التي عانيتها في بشارة المسيح، لكي تربح الجميع، وتقدّم الكنيسة للمسيح. فابتهل في أن تحفظ اعترافك الحسن حتّى النَّسمة (النَّفَس) الأخيرة. يا بولس الرسول ومعلّم الكنائس

أيّها الرسول بولس المجيد، مَنْ ذا الذي يصف أغلالك وأحزانك التي في المدن، والمشاق والأتعاب والأسهار والأسواء المؤلمة، التي بالجوع والعطش، التي بالبرد والعُري، والزنبيل والضرب بالعصي والرجم بالحجارة، قطع المفاوز والغرق في قاع البحر. فقد صرتَ مشهداً للملائكة والبشر، واحتملتَ كلّ شيء بمعونة المسيح المؤيّد إيّاك، فلذلك نبتهل إليك نحن المقيمين تذكارك بإيمان، أن تتشفّع في خلاص نفوسنا

لنمدح بطرس وبولس، كوكبَي الكنيسة العظيمين، لأنّهما قد أشرقا في جَلَد الإيمان، بما يفوق الشمس ضياءً، وبأشعة كرازتهما اقتادا الأمم من الغباوة إلى المعرفة الإلهيّة. فأحدهما سُمِّر على الصليب، فجعل مسيره نحو المساء، حيث سُلِّمت إليه مفاتيح الملكوت من لدن المسيح. وأمّا الآخر قُطعت هامته بالسيف، فانتقل إلى المخلّص. فهو يغبِّط باستحقاق، وكلاهما يخبران أن اسرائيل قد مدَّ يديه على الربّ ظلماً. فبطلباتهما أيّها المسيح إلهنا، احطم أعداءنا، وأيّد الإيمان المستقيم الرأي، بما أنّك محبٌّ للبشر

٢ ـ يوحنا الدمشقي:

وُلد في النصف الثاني من القرن السابع (حوالي ٦٧٥ م.) في دمشق، من أبوَين مسيحيّين. كان أبوه سرجيوس منصور وزير الخراج عند الخليفة عبد الملك، وقد تتلمذ يوحنا منذ صباه على يدَي الراهب العلاّمة كوزما الغريب أو المتوسّل الكالافري (الذي كان عبداً وحرّره أبوه)، فتعلّم الفلسفة واللاهوت والموسيقى الكنسية مع أخيه بالتبنّي كوزما (الذي صار أسقف ميّومه). وبعد موت والده، دخل يوحنا في خدمة الخليفة الوليد، لكنّه ما لبث أن ترك العالم، وباع ممتلكاته ووزّعها على الفقراء، وذهب ليترهّب في دير القدّيس سابا بالقرب من أورشليم، حيث كان قد سبقه إليه معلّمه كوزما، وقد لحق يوحنا إلى الدير كلٌّ من أخيه الروحي كوزما وابن أخيه استفانوس

رُسِمَ يوحنا كاهناً من قِبل بطريرك أورشليم يوحنا الخامس (٧٠٦ – ٧٣٥م.)، وأنهى حياته في الدير على الأغلب عام ٧٥٦ م. وقد لعب دوراً هاماً في الدفاع عن عقيدة إكرام الأيقونات، فكتب مقالات عدّة شرح فيها مفهوم الأيقونة، وقد أقرّ فيما بعد المجمع السابع المسكوني هذه الكتابات

لمع القدّيس يوحنا بالفضائل وبالمعارف، وكان لاهوتياً عظيماً كتب في مجالاتٍ متعدّدة أي سير القديسين، العقائد، ضد الهراطقة، النسكيات، التسابيح الكنسية، والمواعظ المختلفة

كان القدّيس يوحنا من أشهر شخصيات عصره، فكان على ثقافة عالية جداً، لدرجة أنّه قيل عنه "إنّه رجل لامع ولا يجاريه أحد". وإنّ موهبته في النظم والشعر جعلتا منه نجم الناظمين وكاتبي التسابيح في الأرثوذكسية

وعُرف بمحبته الصادقة والفائقة للمسيح يسوع والكنيسة. جمع بين اللاهوت والنظم والقداسة والجهاد

تعيّد له الكنيسة الأرثوذكسيّة في الرابع من كانون الأول، كما أنّ الكنيسة الغربية أخذت تعيّد له مؤخّراً في ٢٧ آذار

نظمه وأشعاره:

لقد اشتهر يوحنا كناظم تسابيح وكمرنّم أيضاً، فقد وضع العديد من التسابيح، وقام باصلاحات في الموسيقى الكنسيّة

إنّه الشاعر القوي والناظم للعديد من القوانين، والأكثر شهرة بين شعراء عصره، فجمع في شعره بين النظم الوزني أو الإيقاعي Ρυθμικός والنظم القياسي Μετρικός (قانون الميلاد والظهور والعنصرة)، وضبط الألحان الكنسيّة في ثمانية ألحان

• تمتاز الألحان الثمانية في الموسيقى البيزنطيّة بطروباريات القيامة التابعة لكلّ لحن:

الأول : "**إنّ الحجر...**"

الثاني : "**عندما انحدرت...**"

الثالث : "**لتفرح السماويات...**"

الرابع : "**إنّ تلميذات الربّ...**"

الخامس : "**لنسبّح نحن المؤمنين...**"

السادس : "**إنّ القوّات الملائكيّة...**"

السابع : "**حطمت بصليبك الموت...**"

الثامن : "**انحدرت من العلو...**"

• ضَبَط وأكمل كتاب الألحان الثمانية οκτώηχος أو المعزي Παρακλητική

كتب العديد من القوانين، ومن أهمّها القوانين الخاصّة بالأعياد السيديّة والوالديّة[٣٨]، كما كتب العديد من الإيذيوملات والإستيشيرات

• انتشرت بشكل واسع إيذيوملات الأموات، التي ترتّل في خدمة جنّاز الراقدين، وهي ثمانية، تعود كلّ واحدة للحن

• تتّسم تسابيحه بطابع عقائدي واضح، فقد أغنى تسابيحه بمواضيع إيمانيّة وعقائد أساسيّة بشكل سلس واضح. وهذا يظهر في ثيوطوكيات المعزّي للألحان الثمانية

"**مثنّى بالطبائع، وليس مثنّى بالأقنوم، لهذا نكرز بالحقيقة أنّ المسيح إلهنا هو إله تام وإنسان تام...**" (اللحن الثامن)

"**... ولدت بالجسد ابناً بغير أب، الذي هو قبل الدهور مولود من الآب بغير أمّ، خلوّاً من تغيير أو امتزاج أو انقسام، بل هو حافظ خواص كلّ من الجوهرين سالمة...**" (اللحن الثالث)

• وإنّ كثيرين يعتقدون أنّ يوحنا الدمشقي هو يوحنا أرْكْلان Αρκλᾶν، الذي يُنسب إليه قانون العنصرة والميلاد والظهور

(٣٨) من القوانين العديدة التي كتبها الدمشقي: الحبل بيوحنا المعمدان (٢٣ أيلول)، قزما ودميانوس (١ تشرين الثاني)، باسيليوس المعظّم (١ كانون الثاني)، بولس الثيبي (١٥ كانون الثاني)، كيرلس (١٨ كانون الثاني)، إفثيميوس الكبير (٢٠ كانون الثاني)، مكسيموس المعترف (٢٧ كانون الثاني)، إبيفانيوس القبرصي (٢١ أيار)، إليشع (١٤ حزيران)، مولد يوحنا السابق (٢٤ حزيران)، التجلّي (٦ آب)، رقاد السيّدة (١٥ آب)...

نصوص:

١"- قانون القيامة:

أرمس الأودية الأولى (باللحن الأول)

أليوم يوم القيامة، فسبيلنا أن نتلألأ أيها الشعوب، لأنّ الفصح هو فصح الربّ، وذلك فإنّ المسيح إلهنا قد أجازنا من الموت إلى الحياة، ومن الأرض إلى السماء، نحن الناشدين نشيد النصر والظفر

طروباريات

سبيلنا أن ننقّي حواسنا، فنعاين المسيح ساطعاً كالبرق، بنور القيامة الذي لا يُدنى منه، ونسمعه قائلاً علانيةً: افرحوا، ونحن ناشدون له نشيد النصر والظفر

فلتفرح السموات، وتتهلّل الأرض بلياقةٍ واجبة، وليعيّد العالم كلّه أجمع، الذي يُرى والذي لا يُرى، لأنّ المسيح قد قام سروراً مؤبّداً

أرمس الأودية الثالثة

هلمّوا بنا نشرب مشروباً جديداً، ليس مستخرجاً بآيةٍ باهرةٍ من صخرة صمّاء. لكنّه ينبوع عدم الفساد، بفيضان المسيح من القبر، الذي به نتشدّد

أرمس الأودية الرابعة

فليقف معنا على المحرس الإلهي حبقوق المتفوه بالله، ويُرِنا الملاك المتّشح الضياء، قائلاً بمجاهرةٍ: اليوم خلاصٌ للعالم، لأنّ المسيح قد قام، بما أنّه على كلّ شيءٍ قدير

أرمس الأودية الخامسة

فلنبتكرنّ مدّلجين دلجةً عميقةً، ولنقربنّ للسيد التسبيح النقيّ عوض الطيب الذكيّ، ونعاين المسيح الذي هو شمس العدل، مشرقاً الحياة للكلّ

أرمس الأودية السادسة

أيُّها المسيح، لقد نزلتَ إلى أسافل دركات الأرض، فسحقتَ الأمخال الدهرية المثبّتة الضابطة المعتقَلين، وفي اليوم الثالث قمتَ ناهضاً من القبر، كما برز يونان من الحوت

أرمس الأودية السابعة

إنّ الذي أنقذ الفتية من الأتون، لمّا صار إنساناً، تألّم بما أنّه مائتٌ، وبآلامه سربل المائت جمال عدم الفساد، أعني به إله آبائنا، تبارك وتمجّد وحده

أرمس الأودية الثامنة

إنّ هذا اليوم المدعوّ المقدّس، الذي هو أحد السبوت وملكها وسيّدها، إنّما هو عيد الأعياد وموسم المواسم، الذي فيه نبارك المسيح إلى الأدهار

أرمس الأودية التاسعة

استنيري استنيري يا أورشليم الجديدة، لأنّ مجد الربّ قد أشرق عليك، افرحي الآن وتهلّلي يا صهيون، وأنتِ يا والدة الإله النقيّة اطربي بقيامة ولدك

٢"- قانون الميلاد:

أرمس الأودية الأولى

إنّ السيّد قد صنع معجزةً فخلّص الشعب، لمّا حوّل قديماً أمواج البحر الرطبة

إلى يابسة، وإذ وُلد الآن من فتاةٍ باختياره، جعل لنا طريق السماء مسلوكاً، وهو مساوٍ للآب وللبشر في الجوهر، فلذلك نمجّده

طروباريات

إنَّ البطن المقدَّس، المرسوم جلياً بالعلّيقة غير المحترقة، قد حمَل الكلمة، إلهاً متّحداً بصورة البشر، ومعتقاً مستودع حواء الشقي، من مرارة اللعنة القديمة، فلنمجّده يا معشر الأنام

إنَّ الكوكب قد أظهرك للمجوس، أيُّها الكلمة الرؤوف الذي قبل الشمس، الآتي علانيةً ليزيل الخطيئة، مُدرَجاً في أقمطة، في مغارةٍ حقيرة، فشاهدوك بفرح، وعرفوك إنساناً وربّاً

أرمس الأودية الثالثة

انعطف أيُّها المحسن المجيد، إلى تسابيح عبيدك، مزيلاً تشامخ العدوّ المتكبّر، واجعلنا نحن المرتلين لك، منتصرين على الخطيئة، وثابتين على قاعدة الإيمان غير المتزعزعة

أرمس الأودية الرابعة

إنَّ النبي حبقوق قد سبق فأخبر مترنّماً قديماً، عن إعادة جبلة جنس البشر، لأنَّه قد استأهل أن يشاهد رسم ذلك بحالٍ لا تفسَّر. فإنَّ الكلمة قد خرج طفلاً جديداً من جبل البتول، لإعادة تكوين الشعوب

أرمس الأودية الخامسة

أيُّها المسيح امنحنا غفراناً، نحن المظلمين منذ الليل بأفعال الضلالة، المقيمين لك الآن تسبيحاً بنشاطٍ بما أنّك المحسن. لكي تبادر إلينا فتجعل لنا منهجاً صالحاً، حتّى إذا سلكناه نجد مجداً وشرفاً

أرمس الأودية السادسة

إنَّ يونان لمّا كان حاصلاً في أعماق البحر، كان يتضرّع أن يصعد إليك فينجو من العاصف. أمّا أنا فإذ قد طُعنتُ بسهام المارد، فإليك ألتجئ أيُّها المسيح المبيد الشرور، فتداركني سريعاً منقذاً إياي من تهاوني

أرمس الأودية السابعة

إنَّ الفتية لمّا تمسّكوا بمحبّة ملك الكلّ، ازدروا بهذر وتجديف المغتصب الملحد، وإذ امتلأ حنقاً، دفعهم إلى النار الهائلة فلم تؤذهم، فهتفوا نحو السيّد قائلين: مباركٌ أنتَ مدى الدهور

أرمس الأودية الثامنة

إنَّ الفتية الذين طُرحوا قديماً في النار، ولبثوا بغير احتراق، كانوا رسماً لمستودع الفتاة، التي ولدت بما يفوق الطبيعة وهي مختومةٌ. فهذان الأمران قد أتمّتهما النعمة بعجبٍ واحدٍ، منهضةً الشعوب إلى التسبيح

أرمس الأودية التاسعة

يا مَنْ هي بتولٌ وأمٌّ معاً، إنَّه ليعسر علينا جداً، أن ننظم لكِ تسابيح لائقة بتواتر، لأنّ الخوف يجعلنا نختار الصمت إذ هو أيسر حيث لا خطر فيه. وأمّا الشوق فيولينا نشاطاً، فامنحينا قوّةً على مقدار ميلنا إليكِ

٣"- إيذيوملات الأموات:

باللحن الأول

أيُّ نعيمٍ ثبت في الدنيا بدون أن يخالطه حزن ؟ أم أيُّ مجدٍ استقام على الأرض من غير انتقال ؟ الكلّ أضعف من الظلّ. الكلّ أخدع من الأحلام. لحظة واحدة

وجميع هذه الأشياء يعقبها الموت. فيا أيُّها المسيح أرح الذي اخترته في نور وجهك وحلاوة بهائك، بما أنّك محبٌّ للبشر

باللحن السادس

إنَّ مبدأي وكياني كانا بأمرك الخالق، لأنّكَ لمّا شئتَ أن تتقنّني حيواناً مركّباً من طبيعة منظورة وغير منظورة، أمّا جسمي فجبلته من الأرض، وأمّا نفسي فوهبتها لي بنفختكَ الالهيّة المحيية، فلذلك أيُّها المسيح، أرح عبدك في بلدة الأحياء في مساكن الصدّيقين

٣ ـ كوزما المرنِّم:

يُعرف كوزما بالمرنِّم أو الأورشليمي أو المقدسي Αγιοπολίτης. ولكنّه يسمِّي نفسه في "تطريز" قوانينه بالراهب، وهذا ما يولّد بعض الصعوبات، لأنّ آخرين يُكنّون أنفسهم هكذا أيضاً. صار أسقفاً على ميّومة المدينة الصغيرة المعروفة أيضاً باسم قسطندية، والتي تبعد ٢٠ غلوة عن غزّة فلسطين

وُلد في دمشق عام ٦٨٥ م. على الأغلب، وتيتّم منذ صغره، فتبنّاه سرجيوس، والد يوحنا، واهتمّ به اهتمامه بابنه يوحنا، فتتلمذا سوية على يد كوزما الصقلّي، وترهبنا في دير القديس سابا في بدايات القرن الثامن، بالقرب من أورشليم. ومكث كوزما مدّة عشر سنوات في الدير، منصرفاً لحياة النسك والصلاة ونظم الأناشيد، حيث رُسِمَ فيما بعد من قِبَل بطريرك أورشليم، يوحنا الخامس، أسقفاً على ميّومة عام ٧٤٣ م. على الأغلب. توفي عام ٧٥٠ م. ونقيم تذكاره في ١٤ تشرين الأول

اشتهر كوزما كناظم ومرنّم. وكان نظمه إيقاعياً ρυθμιτικός رقيقاً، ولغته سلسة ومتماسكة، وألحانه عذبة جميلة. اعتمد مواضيعه من الكتاب

وحياة القدّيسين، وتأثّرت صياغته بلغة آباء الكنيسة (وخاصة غريغوريوس اللاهوتي)، فجاءت تسابيحه حاملة عباراتٍ وجملاً مستقاةً، كما هي، من مواعظ غريغوريوس اللاهوتي، كما في قوانين الميلاد والظهور والعنصرة. (راجع أرمس الأودية الأولى لقانون الميلاد: المسيح ولد فمجّدوه Χριστός γεννᾶται, δοξάσατε)[٣٩]

وضع كوزما تسابيح كثيرة لأعياد سيديّة ووالديّة وبعض القدّيسين. وتعتبر قوانينه من أهمّ أعماله الشعريّة، حيث يعتبر رائد هذا النمط من النظم مع أندراوس الكريتي ويوحنا الدمشقي، كما يُعتبر كوزما من المساهمين الأساسيين في كتاب التريودي

يحمل "تطريز ἀκροστιχής" قوانينه عنواناً متعدّد الأشكال، ولكنّه غالباً ما يعود للحَدَث أو القديس المعيّد له

الطروباريات اللاحقة للأرمس في كلّ أودية اثنتين أو ثلاثة، ونادراً ما تكون واحدة أو أربعة. وقد حَفظت سبعة أعياد سيديّة قوانينه: الميلاد (المسيح ولد...) والظهور (إنّ الربّ المقتدر...) والعنصرة (لنسبّح الذي غمر...) ورفع الصليب ودخول السيّد (إنّ عمق اليابسة...) والشعانين والتجلّي. وهناك العديد من القوانين الأُخرى المحفوظة في الكتب الطقسيّة والعائدة إليه (غريغوريوس اللاهوتي ٢٥ كانون الثاني، ٢٦ كانون الأول،...). وجدير بالملاحظة أنّ كوزما لم يستعمل في نظمه اللحن الخامس Πλ. A΄

وضع كوزما قوانين الأسبوع العظيم أيضاً، أي الأوديات الثلاث لتريودي أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء العظيمة، وقانون الخميس العظيم،

(٣٩) زيادة في الايضاح، راجع ترامبلا، المرجع السابق، ص ٣١٢

والأوديات الثلاث لتريودي الجمعة العظيمة، والأوديات السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة من قانون السبت العظيم(٤٠)

وجديرٌ بالذكر أنّ قوانين الأسبوع العظيم هذه، تحمل عنواناً واحداً متكرراً:

"Τῇ Δευτέρα, Τρίτῃ τε, Τετράδι ψαλῶ أرتّل ليوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء

Τῇ μακρᾷ Πέμπτῃ μακρόν ὕμνον ἐξάδω. وأرفع نشيداً طويلاً للخميس العظيم

Προσάββατόν τε, Σάββατον μέλπω μέγα". وللسبت ترنيمة سبتية عظيمة

نظم كوزما أيضاً قوانين وتديّة Ιαμβικοί Κανόνες محفوظة في مكتبة أورشليم. كما وضع أيضاً إيذيوملات كثيرة، استُعمل العديد منها في الكتب الطقسيّة، مثل الطروباريات الخمسة الأولى من ليتين الظهور الإلهي، وقطع أبوستيخن ٢ شباط، وذكصا ليتين ٢٥ آذار، وذكصا إينوس ٢٩ حزيران، والإيذيوملات الثلاث الأولى لغروب ٦ آب. وإنّ الطروباريّة الأولى من أبوستيخن ٢ شباط تُرجمت إلى اللاتينية، وهي قيد الاستعمال الليتورجي حتّى اليوم في الكنيسة الكاثوليكية

وإنّ أرمس الأودية التاسعة لقانون الجمعة العظيمة (يا من هي أكرم...) دخل على الاستعمال اليومي لخدمة السحر

نصوص:

١"- قانون الميلاد:

أرمس الأودية الأولى

المسيح وُلد فمجّدوه، المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه، المسيح على الأرض

(٤٠) اكتمل قانون السبت العظيم (إنّ أولاد الذين نجوا) بإضافة الأوديات الأولى والثالثة والرابعة والخامسة التي تعود أراميسها لكسياني، وطروباريات لمرقس أسقف إيذرُونْدُس Υδροῦντος

فارتفعوا، رتّلي للـربّ أيّتها الأرض كلّها، ويا شعوب سبّحوه بابتهاج، لأنّه قد تمجّد

أرمس الأودية الثالثة

لنصرخ نحو الابن المولود من الآب قبل الدهور بدون استحالة، المسيح الإله الذي تجسّد في آخر الأزمنة من البتول بغير زرع هاتفين: يا مَنْ رفع شأننا، قدوسٌ أنت يا ربّ

أرمس الأودية الرابعة

أيّها المسيح المسبّح، لقد خرج قضيبٌ من أصل يسّى ومنه قد نبتَ زهرةَ، من جبلِ مظللٍ مُدغِل، أيّها الإله المنزّه عن الهيولى. فأتيت متجسّداً من البتول التي لم تعرف رجلاً، فالمجد لقدرتك يا ربّ

أرمس الأودية الخامسة

أيّها المحبّ البشر، بما أنّك إله السلام وأبو المراحم، فقد أرسلتَ لنا رسول رأيك العظيم، مانحاً إيّانا سلامك فلذلك إذ قد اهتدينا إلى نور المعرفة الإلهيّة، فنحن ندلّج من الليل ممجدين لك

أرمس الأودية السادسة

إنّ الحوت البحري قد قذف من أحشائه يونان، كما تقبّله سالماً نظير الجنين، وأمّا الكلمة فلمّا حلّ في البتول واتّخذ منها جسداً، وُلد حافظاً إيّاها بدون فساد، ولم تلحقه استحالةٌ، وحفظ والدته بدون مضرّة

أرمس الأودية السابعة

إنّ الفتية إذ قد نشأوا معاً على حسن العبادة، مزدرين بأمر الملحد، لم يجزعوا من وعيد النار. لكنّهم كانوا يرتّلون وهم قائمون في وسط اللهيب: مباركٌ أنتَ يا إله آبائنا

أرمس الأودية الثامنة

إنَّ الأتون النديّ، قد صوّر رسم العجب الفائق الطبيعة، لأنَّه لم يحرق الفتية الذين تقبّلهم، كما أنّ نار اللاهوت لم تحرق أيضاً مستودع البتول الذي حلّت فيه، لذلك فلنسبّح مترنّمين وقائلين: لتبارك الخليقة بأسرها الربّ، ولتزده رفعة مدى الدهور

أرمس الأودية التاسعة

إنّني أشاهد سرّاً عجيباً مستَغرَباً. المغارة سماءً، والبتول عرشاً شيروبيمياً، والمذود محلاً شريفاً، الذي اتّكأ فيه المسيح الإله، غير الموسوع في مكان، فلنسبّحه معظّمين

٢"- قانون دخول السيّد إلى الهيكل:

أرمس الأودية الأولى (باللحن الثالث)

إنّ عمق اليابسة المولّد اللّجج، قد اجتازت فيه الشمس قديماً، لأنّ الماء قد جمد من جانبيه كالحائط للشعب المجتاز في عمقه ماشياً، والمرتّل ترتيلاً مرضيًّا لله هاتفاً: لنسبّح الربّ، لأنّه بالمجد قد تمجّد

أرمس الأودية الثالثة

يا ربّ يا ثبات المتّكلين عليك، ثبّت الكنيسة التي اقتنيتها، بدمك الكريم

أرمس الأودية الرابعة

أيّها المسيح، إنّ فضيلتك قد غشيت السماوات، لأنّه لمّا أتى تابوت قدسك، الذي هو أمّك البريئة من الفساد، ظهرتَ في هيكل مجدك محمولاً على الساعدَيْن كطفلٍ، فامتلأت كلّ البرايا من تسبحتك

أرمس الأودية الخامسة

إنّ إشعياء لمّا أبصر الإله رمزيًّا على منبرٍ شاهقٍ، محتفّةً به ملائكة المجد هتف صارخاً: ويحي أنا الشقيّ، لأنّي سبقتُ فنظرتُ إلهاً متجسّداً، وهو النور الذي لا يعروه مساءٌ وسيّد السلامة

أرمس الأودية السادسة

إنّ الشيخ لمّا أبصر بعينيه الخلاص الذي قد بدا للشعوب، هتف نحوك قائلاً: أيُّها المسيح أنتَ إلهي، الآتي من لدن الله

أرمس الأودية السابعة

إيّاك نسبّح يا كلمة الله، يا مَنْ ندّيت في النار الفتية اللاهجين بالله، وحللتَ في بتولٍ عادة الفساد، مرتّلين بحسن عبادةٍ: مباركٌ أنتَ يا إله آبائنا

أرمس الأودية الثامنة

إنّ الفتيان المناضلين عن عبادة الله، لمّا انتصبوا متّحدين في النار التي لا تطاق، ولم يضرّهم اللهيب أصلاً، رتّلوا تسبيحاً إلهيّاً قائلين: باركوا الربّ يا جميع أعماله، وزيدوه رفعةً مدى الدهور

أرمس الأودية التاسعة

لنعظّم أيُّها المؤمنون، الابنَ البكرَ كلمة الآب الأزلي، المولود بكراً لأمٍّ لم تعرف رجلاً، إذ قد شاهدنا في ظلّ الناموس والكتاب رسماً، وهو أنّ كلّ ذكرٍ يفتح مستودعاً، يدعى قدّوساً لله

٣"- قانون الجمعة العظيمة:

أرمس الأودية الخامسة (باللحن السادس)

إليكَ أدّلج يا كلمة الله، يا مَنْ بتحنّنك أفرغتَ ذاتكَ، وانقدتَ حتّى إلى الآلام

لأجل الساقط، من غير استحالةٍ، وبعدم تألّم، فامنحني السلامة يا محبّ البشر

طروباريات

أيّها المسيح، إنَّ خدّامكَ لمّا رُحضتْ أرجلُهم، وطهروا الآن بمساهمة سرّك الالهيّ صعدوا معنا من صهيون إلى جبل الزيتون العظيم مسبحينك يا محبّ البشر

لقد قلتَ: انظروا يا أحبّائي، لا تضطربوا، لأنَّ الآن قد دنت الساعة التي فيها يُقبَض عليَّ، وأُقتَل بأيدي العادمي الشريعة، وكلّكم تتفرقون وتتركوني، لكنني سأجمعكم لتكرزوا بي أنّي محبُّ البشر

٤"- قانون السبت العظيم:

أرمس الأودية السادسة

إنَّ يونان النبي قد مُسك، لكنّه لم يُضبَط في جوف الحوت، إلاّ أنَّه إذ كان رسماً لكَ يا مَنْ تألمتَ وأُسلمتَ إلى الدفن، طفر من الحوت كمِنْ خدرٍ وصرخ نحو الحرّاس قائلاً: يا حافظي الباطل والكذب، قد أهملتم رحمتكم

طروباريات

أيُّها الكلمة لقد قُتلتَ، لكنّك لم تنفصل من الجسد الذي ساهمت به لأن ولو انحلّ هيكلك في حين الآلام، إلاّ أنَّ أقنوم لاهوتك وناسوتك واحدٌ فقط، وفي كلَيْهما لم تزل ابناً فرداً كلمة الله إلهاً وإنساناً

إنَّ سقطة آدم قد حصلت قاتلة إنساناً لا إلهاً، لأنّ ولو تألّم جوهر جسدك الترابيّ إلاّ أنّ لاهوتك بقي عديم التألّم، وأحلت الفاسد إلى عدم الفساد، وبالقيامة أوضحت ينبوع الحياة غير الفاسدة

إنَّ الجحيم قد استولى على جنس الأنام، لكن لا استيلاءً مؤبَّداً، لأنّك أيُّها المقتدر لمّا وُضعتَ في قبرٍ طحنت أقفال الموت واكرزت بكفّك عنصر الحياة للجالسين هناك منذ الدهر بنجاةٍ غير كاذبةٍ، إذ صرتَ بكراً للأموات يا مخلّص

أرمس الأودية السابعة

عجبٌ لا يُفسَّر، وهو أنّ الذي خلّص الفتية الأبرار من السعير في الأتون، قد وُضع في القبر ميتاً عديم النسمة، لخلاصنا ونجاتنا نحن المرتّلين: مباركٌ أنتَ أيُّها الاله المنقذ

طروباريات

إنَّ الجحيم طُعن وفني بقوّة النار الإلهيّة، لمّا اقتبل في قلبه المطعونَ بجنبه بحربةٍ لخلاصنا نحن المرتّلين: مباركٌ أنتَ أيُّها الإله المنقذ

إنَّ القبر سعيدٌ، لأنّه ظهر إلهيّاً لمّا اقتبل ضمنه كنزَ الحياة الخالق، كنائم، لخلاصنا نحن المرتّلين: مباركٌ أنتَ أيُّها الإله المنقذ

إن حياةَ الكلّ اقتبل الاضطجاع في قبرٍ حسبَ ناموسِ المائتين، وأظهَرَه ينبوعَ القيامةِ لخلاصِنا نحن المرتلين: مباركٌ أنت أيها الإلهُ المنقذ

إن لاهوتَ المسيحِ كان واحداً بغيرِ انفصالٍ في الجحيمِ وفي القبرِ وفي عدنٍ ومعَ الآبِ والروحِ لخلاصِنا نحن المرتلين: مباركٌ أنت أيها الإلهُ المنقذ

أرمس الأودية الثامنة

إنذهلي مرتعدةً أيتها السمواتُ، ولتتزلزلْ أساساتُ الأرضِ، لأنَّ هوذا الساكن في العلاءِ قد حُسِبَ بين الأمواتِ، ويَضيفُ في قبرٍ حقيرٍ، فيا فتيانُ باركوهُ، يا كهنةُ سبّحوهُ، يا شعوبُ ارفعوه إلى جميعِ الأدهار

طروباريات

لقد انحلَّ الهيكلُ الطاهرُ، ثم قامَ رافعاً معَهُ الخباءَ الساقطَ، لأنَّ آدمَ الثاني الساكنَ في الأعالي، قد انحدرَ نحوَ آدمَ الأولِ إلى أقصى مخادعِ الجحيمِ، فيا فتيانُ باركوهُ، يا كهنةُ سبّحوهُ، يا شعوبُ ارفعوه إلى جميعِ الأدهار

إن التلاميذَ قد بَطَلَتْ جرأتُهم، وأما يوسفُ الذي من الرامةِ، فإنَّهُ أظهرَ شهامةً عظيمة، لأنّه إذ شاهدَ إلهَ الكلّ ميتاً عارياً طلبَهُ وجهَّزَهُ هاتفاً: يا فتيانُ باركوهُ، يا كهنةُ سبّحوهُ، يا شعوبُ ارفعوه إلى جميعِ الأدهار

يا لها من عجائبَ غريبة، يا لهُ من صلاحٍ، يا له من احتمالٍ لا يُوصَف، لأن الساكنَ في العلاء، قد خُتِمَ عليه تحتَ الأرضِ بإرادته، والإلهَ اتُّهِمَ كضالٍّ، فيا فتيانُ باركوهُ، يا كهنةُ سبّحوهُ، يا شعوبُ ارفعوه إلى جميعِ الأدهار

أرمس الأودية التاسعة

لا تنوحي عليَّ يا أمي، إذا ما شاهدتِني في قبرٍ، أنا ابنَكِ الذي حبلتِ بي في أحشائِك خلواً من زرعٍ، لأنّي سأقومُ وأتمجَّدُ، وبما أني إلهٌ أعلّي ممجِّداً بغير فتورٍ، الذين بإيمانٍ وشوقٍ يعظمونَكِ

طروباريات

يا ابني الأزلي، إني نجوتُ من الأوجاعِ، في حينِ ولادتِكَ الغريبةِ، فتطوَّبتُ بما يفوقُ على الطبيعةِ، والآنَ لما أشاهدُكَ يا إلهي، ميتاً عادمَ النسَمةِ أُطعَنُ بحربةِ الحزنِ بمرارةٍ، لكن انهضْ لكي أتعظَّمَ بك

يا أمّي إنَّ الأرضَ قد حجبَتْني بإرادتي، وأمّا بوابو الجحيمِ فارتعدوا،

لمشاهدتِهم إياي متوشّحاً حلّةً مخضّبةً بالانتقامِ، لأني قد قهرتُ الأعداءَ بالصليبِ، بما أنّي إلهٌ، وسأنهضُ أيضاً وأعظمُكِ

لتفرحِ البرايا، ويبتهج الأرضيّونَ كافةً، لأن الجحيمَ والعدوَّ قد سُبِيا، ولتستقبلْني النسوةُ بالطيوبِ، لأنّي أنقذُ آدمَ وحواءَ وكلَّ ذريَّتِهما وأنهَضُ في اليوم الثالث

٤- ثيوفانيس الكاتب:

ثيوفانيس الكاتب أو المرنِّم ولد في أورشليم عام ٧٧٥ م. ورُسِمَ فيها كاهناً عام ٨١١ م. ثم أصبح أسقفاً على نيقية (٨٤٢ - ٨٤٥م.). نُفي مع أخيه ثيودورس أيام حرب الأيقونات، من قِبَل الأمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩ - ٨٤٢م.). وقد طُبعت جبهتيهما بخاتم محمَّى بالحديد، يحمل كتابة من ١٢ استيخن وتدي تصفهما بالأشرار. ولهذا عُرف كليهما بالكاتب. توفي عام ٨٤٥ م.

كان ثيوفانيس ناظم تسابيح وليس ملحّناً أو مرنّماً، فكان ينظم التسابيح مستعيراً ألحانها من آخرين. وقد وضع ما يقارب ٢٠٠ مجموعة من قوانين وإستيشيرات وإيذيوملات. واشتهرت إستيشيراته: في عيد الظهور، "تقدّمي أيتها القوات الملائكة Αἱ ἀγγελικαί προπορεύεσθε δυνάμεις"، وذكصا إينوس البشارة "اليوم ينكشف السرّ..."، وذكصا إينوس القديس جاورجيوس "قد أشرق الربيع..."، ومن أعماله أيضاً قوانين آحاد الأرثوذكسية والصليب والأحد الرابع من الصوم، وقانون لعازر (حتّى الأودية السادسة منه) في كتاب التريودي، أمّا البنديكستاري فحفظ له قوانين أحد حاملات الطيب والأربعاء نصف الخمسين وسبت الأموات قبل العنصرة. أمّا المعزّي فيحفظ

ثمانية قوانين للرسل على الألحان الثمانية، وثمانية أخرى للملائكة، أمّا في الميناون فنجد أكثر من ١٥٠ قانوناً يعود إلى ثيوفانيس

نصوص:

١"- قانون للقديس أثناسيوس الكبير:

الأودية الأولى (باللحن الثامن)

إنّني بتقديمي المديح لأثناسيوس، كأني أمدح الفضيلة، أظهر بالحري مقدّماً النشيد لله، الذي من لدنه قد مُنح هو للبشر، موضوعاً مستوجباً الثناء للفضيلة، التي أصبح لها مثالاً حيّاً ونموذجاً

إنّنا بحسب الواجب ننظم نشيداً لتذكارك المجيد، لكننا نتحيّر بالأكثر كيف نمدحكَ يا أثناسيوس كما يليق، فنستمدّ منك مسامحةً، وأن تُمنح لنا بك نعمة الروح بغزارة

يا مريم والدة الاله، لقد قيلت فيك المجدات في أجيال الأجيال، يا مَنْ وسِعَت في حشاها الإله الكلمة ولبثت نقيةً، فلذلك نحتفل بكِ جميعاً، يا نصيرتنا بعد الله

٢"- من بروصوميّات إينوس ٢ كانون الثاني، وزن ملائكية Αγγελικαί **:**

أيّتها القوات الملائكية، سيري متقدّمةً من بيت لحم إلى مجاري الأردن، واسبق يا يوحنا تاركاً القفر وافرح أيّها النهر وتهيّأ، ولتبتهج الأرض قاطبةً، لأن المسيح يأتي، ليطهّر خطيئة آدم، بما أنّه المتحنّن

هلمّوا بنا ننطلق من بيت لحم سريّاً، بأفواهٍ نقيةٍ ونفوس مطهَّرة، ونأتي مع المسيح إلى الأردن، لنسبّحه الآن بحبورٍ، يا جميع قبائل الأرض، قائلين بإيمان: مباركٌ أنتَ يا إلهنا الآتي، المجد لك

٣"- ذكصا إينوس ٢٥ آذار:

باللحن الثاني

اليوم ينكشف السرّ الذي قبل الدهور. وابن الله يصير ابن البشر، لكي أنّه باتّخاذه الأدنى يهبني الأفضل. لقد خاب آدم قديماً، فلم يصر إلهاً كما كان قد اشتهى. فصار الإله إنساناً، لكي يصير آدم إلهاً. فلتبتهج إذاً الخليقة وتتباشر الطبيعة. لأنَّ رئيس الملائكة انتصب لدى العذراء باحتشام، وقدّم لها الفرح بدل الحزن. فيا إلهنا الذي بتحنن مراحمك تأنَّست المجد لك

٤"- ذكصا إينوس ٢٣ نيسان:

باللحن الخامس

لقد أشرق الربيع، فهلمّوا بنا نتنعّم. لقد بزغت قيامة المسيح، فهلمّوا نبتهج، لأنّ تذكار اللابس الجهاد ظهر منيراً للمؤمنين. فلذلك هلمّوا يا محبّي الأعياد لنعيّد له تعييداً سريّاً، لأنّ هذا بما أنّه جنديٌّ صالحٌ، استظهر على المغتصبين فخذلهم، وحصل مماثلاً المسيح المخلّص في آلامه. ولم يشفق على إنائه الترابي. لكنّه جعله عارياً كنحاسٍ، مثيباً إياه بالتعذيبات. فلنهتف نحوه صارخين: أيُّها اللابس الجهاد، ابتهل في خلاص نفوسنا

٥- استفانوس الساباوي:

هو ابن أخ يوحنا الدمشقي، ويعتقد البعض أنّه استفانوس المقدسي، إذ يرون في استفانوس الساباوي واستفانوس المقدسي شخصاً واحداً. هناك

بعض القوانين التي تحمل اسم استفانوس المعاصر للدمشقي، وهي قانون للختان، وللقديس كرياكوس (٢٩ أيلول)، وللمستشهدين في دير القديس سابا (٢٠ آذار)، وللقديسة بربارة (٤ كانون الأول)

كما تحفظ لنا النصوص أراميساً وقنداقاً للقديس بروكوبيوس

ونجد خمس إستيشيرات في غروب ميلاد السيدة تحمل اسم استفانوس المقدسي

نصوص:

في غروب ٨ أيلول:

باللحن السادس

اليوم الأبواب العقيمة تُفتح، ويأتي بابٌ بتوليّ إلهي.

اليوم ابتدأت النعمة تُثمر، مظهرة للعالم أمَّ الإله.

التي بها تقترن الأرضيات بالسماوات، لخلاص نفوسنا

باللحن السادس

اليوم تباشير الفرح لكلّ العالم، اليوم نفحت النسائم

سابقةً البشرى بالخلاص، وانحلَّ عقر طبيعتنا،

لأنَّ العقيم قد أضحت أمّاً للتي لبِثَت بتولاً بعد

ولادتها الخالق. التي منها الإله بالطبع اتّخذ

الطبيعة الغريبة، وصنع بالجسد خلاصاً للضالين

المسيح المحبّ البشر والمنقذ نفوسنا

٦ – سرجيوس المقدسي:

سرجيوس المقدسي، راهب عاش في القرن التاسع الميلادي، أيام الملك ثيوفيلس. كتب إيذيوملات وذكصات وأراميس، وامتازت تسابيحه بالمنطق

يُنسب إليه إيذيوملات من خدمة ميلاد السيدة (٨ أيلول)، وذكصا أبوستيخن غروب الدخول (٢١ تشرين الثاني)، وذكصا غروب القديس جاورجيوس الأرمني (٣٠ أيلول)، وإيذيوملا (٦ كانون الأول)

نصوص:

١"– إيذيوملا غروب ٨ أيلول:

باللحن السادس

اليوم الإله المستقرّ على الأرائك العقلية، قد سبق فهيَّأ

له عرشاً مقدّساً على الأرض، الذي ثبّت السماوات

بحكمةٍ، قد أنشأ بمحبته للبشر سماءً حيَّةً، لأنَّه

من أصلٍ غير مثمر، أنبتَ لنا أمَّه غصناً حاملاً

الحياة، فيا إله المعجزات ورجاء الذين لا رجاء

لهم، يا ربّ المجد لك

٢"– ذكصا أبوستيخن ٢١ تشرين الثاني:

باللحن السادس

لنحتفل اليوم يا جماهير المؤمنين باجتماعنا روحياً، ونمدح بحسن

عبادةٍ فتاة الله البتول والدة الاله، مُقَدَّمةً إلى هيكل

الربّ، السابق انتخابها من بين جميع الأجيال، لسكنى المسيح

ملك الكلّ، فيا عذارى تقدمن حاملاتِ المصابيح، مكرّماتٍ

وفد الدائمة البتولية الموقّر، ويا أمهات اخلعن كلّ حزنٍ

واتبعنهنّ مسبحات التي صارت أمّاً للإله وعلّةً لفرح العالم

فلنهتف إذاً جميعنا فرحين مع الملاك، بالسلام للممتلئة

نعمة، المتشفعة على الدوام من أجل نفوسنا

٧- جاورجيوس الأناطولي:

نجد في المخطوطات أراميس تحمل اسم جاورجيوس الأناطولي (المشرقي)، أو جاورجيوس، أو جاورجيوس المقدسي

فهل هو جاورجيوس العائد للحقبة الثانية، أم أنّه معاصر للدمشقي؟ وعلى كلّ حال، فقد عُرفت الإستيشيرات التي وضعها "بالأناطوليكا" نسبةً للقبه "الأناطولي"

نصوص:

١"- إستيشيرا أناطوليكا:

غروب اللحن الخامس

لنمجّدنَّ المسيح مبدأ خلاصنا بالأناشيد، فإنّه

بقيامته من بين الأموات خلّص العالم من الضلالة،

ففرحت صافات الملائكة طرباً وزهقت ضلالة

الشياطين، آدم الساقط نهض وسلطة إبليس دُحضت

٢"- إستيشيرا أناطوليكا:

إينوس اللحن الثامن

لقد تألّمت بالصليب أيها المسيح الإله المحبّ البشر

المنزّه بحسب اللاهوت عن الآلام، وقبلت بالدفن

ثلاثة أيامٍ، لكي تعتقنا من عبودية العدوّ

وتحيينا بقيامتكَ حياةً خالدة

٨- أرسانيوس الراهب:

ولد في أورشليم، ودرس علومه في سلفكيّة، ثم غادرها إلى القسطنطينية، وهناك انتخب أسقفاً لكيركرة أيام القديس فوتيوس

كتب إيذيوملات لرئيسَي الملائكة غفرئيل وميخائيل (٨ تشرين الثاني)، وللرسولَين بطرس وبولس (٢٩ حزيران)، وللنبي إيليا (٢٠ تموز)، كما كتب قوانين لـِ ١٠ تموز، ولخدمة الزيت المقدّس، وسبت الأموات الواقع قبل العنصرة

يصنّفه بعض النقّاد مع الستوذيتيين، أمّا بيترا Pitra فيرى أنّ هناك راهبَين، ناظمَي تسابيح، يحملان اسم أرسانيوس أيضاً، الأول عاش في القرن التاسع والثاني أقدم منه

نصوص:

١"- ليتين رئيسَي الملائكة في ٨ تشرين الثاني:

باللحن الأول

إنّ ميخائيل رئيس مراتب القوات العلوية وزعيم الطغمات

الإلهية، المؤازر لنا كلّ يوم والحافظ الجميع من كلّ

محنة شيطانية، يدعونا اليوم إلى المواسم. فهلمّوا

إذاً أيّها التائقون إلى الأعياد، والمحبّو المسيح، لنقتطف

أزهار الفضائل بعقولٍ طاهرة وضمير مستقيم، ونكرّم

عيد رئيس الملائكة الجامع، لأنّه بمثوله على الدوام

لدى الإله، وترتيله التسبيح المثلث تقديسه،

يتشفع في خلاص نفوسنا

باللحن الثاني

أيّها العادمو الأجساد الإلهيون، الجواهر العقلية، بما أنّكم

محيطون بالعرش غير الهيولي، فأنتم ترنّمون بشفاهٍ ناريةٍ

التسبحة المثلث تقديسها للإله الملك، قدوسٌ الله

الآب الأزلي، قدوسٌ القوي الابن المساوي له في

الأزلية، قدوسٌ الذي لا يموت الروح المساوي لهما

بالجوهر، الممجّد مع الآب والابن

٢"– من قانون صلاة الزيت المقدّس:

الأودية الرابعة

أيّها المخلّص بما أنّك الطبيب المتدفّق بالنعمة، البريء من الفساد،

والمطهّر العالم، ترأف وارحم الذي بإيمانك الإلهي

يدهن جراح الجسد"

أيّها السيد، اختم الآن حواس عبدك ببشاشةِ ختم

مراحمك، واجعل المدخل إليها غير مطروق وغير مقترَب

إليه من جميع القوات المضادة

الأودية الخامسة

أيّها الصالح، بما أنّك لجّة المراحم، فارحم برحمتك

الإلهية أيّها الرحيم هذا المريض بما أنّك المتحنّن

أيّها الربّ الفائق الصلاح، بما أنّك لأجل محبتك

التي لا توصف قبلت دهنات الطيب بواسطة الزانية

فترأف على عبدك

وأخيراً يُدرج مع الساباويين ناظمي التسابيح، كلٌّ من سابا الجديد، وبابيلا، وأريسطوفوس، وغريغوريوس ابن أخ الدمشقي، والبطريرك إيليا الثاني معاصر الدمشقي أيضاً

II - السينائيّون:

لعب رهبان دير سيناء، إلى جانب الساباويّين، دوراً في نظم التسابيح الكنسية، فقد عرف دير سيناء عدّة ناظمي تسابيح ومرنّمين باسم أنسطاسيوس

نصوص:

أراميس أنسطاسيموس السينائي (باللحن الثامن)

١) **لنسبّح المسيح الإله الذي أنقذ اسرائيل من عبودية فرعون، لأنّه قد تمجّد**

٣) **ثبّت يا ربّ قلوبنا، كي تسبّح، وتمجّد قيامتك الثلاثية الأيام**

٤) **سمعت يا ربّ بانبعاثك من القبر، فمجّدت أيّها الكلمة قدرتك غير المدركة**

٥) **من الليل تبكّر روحي لتسبيحك، لأنّ أوامرك نورٌ وسلامة**

٦) **كما أنهضتَ النبي من العمق في اليوم الثالث، يا ربّ، هكذا أنهضنا يا الله من الفساد**

٧) **يا مَنْ أنقذ الفتية من أتون النار، مبارك أنت إلى الأبد، يا ربّ، يا إله آبائنا**

٩) **لنسبّح جميعنا أمّ النور، التي منها أشرق النور الذي لا يغرب، وأنار نفوسنا**

وإنّ بيترا قد نشر قانوناً للتائبين "تطريزه" : "اعتراف أنسطاسيوس الخاطئ"
"Ἀναστασίου ἁμαρτωλοῦ ἐξομολόγησις"

ثانياً: الستوذيتيّون والقسطنطينيّون

I - الستوذيتيّون:

احتلّ دير الستوذيت الواقع بالقرب من القسطنطينية، منذ القرن التاسع، مكانة ملحوظة في الكنيسة، فقد صار مركزاً للعلم والصلاة والقداسة. تمتاز طريقة النظم الستوذيتية باللهجة الاحتفالية وتكرار الأشياء نفسها بكلمات أخرى وصفات مختلفة ومتعدّدة

أمّا النظم الستوذيتي الأساسي فتمركز في وضع ثيوطوكيات وصليبيات، أضيفت إلى القوانين القديمة التي لم تحتوِ على مثل هذه، فقد غابت الثيوطوكيات من قوانين الدمشقي وكوزما وأندراوس الكريتي، وإنّ ما ورد من ثيوطوكيات في كتاب المعزّي يعود إلى مرحلة لاحقة. أُضيفت إلى القوانين القديمة ثيوطوكيات من قِبَل كليمندس، واستفانوس وأثناسيوس ونيقولاوس وإفثيميوس وأرسانيوس وإبيفانيوس وباسيليوس وميخائيل وإيسيدورس وفيلبس وبروكوبيوس وثيودوسيوس وديمتيريوس ونيقوديموس ودانيال وثيوذولس الستوذيتيّين

لا نجد أسماء هؤلاء الناظمين عادةً في التسابيح التي وضعوها، ولكن البعض منهم يخفون أسماءهم باستعمالهم حروف الأبجدية، والبعض الآخر يضع اسمه في "تطريز" الأودية التاسعة أو في "تطريز" الثيوطوكيات

١- ثيودورس الستوذيتي:

يُعتبر ثيودورس الستوذيتي (٧٥٩ - ٨٢٦م.) رئيس دير الستوذيت، مع أخيه يوسف الذي صار رئيس أساقفة سالونيك، من أهم الشخصيات التي برزت بين الستوذيتيّين، ومن اللاهوتيين المعروفين. احتمل الاثنان النفي من محاربَي الأيقونات قسطنطين الخامس الزبلي الاسم (٧٤١ - ٧٧٥م.) ولاون الخامس الأرمني (٨١٣ - ٨٢٠م.)

لقد كتب الدمشقي وكوزما تسابيح لأيام الآحاد والأعياد خلافاً للستوذيتيّين، الذين كتبوا ترانيم للأيام العادية، فنظموا قوانين من ثلاثية ورباعية الأودية، التي أخذ منها كتاب التريودي، وإيذيوملات وقناديق

كما وضعا قوانين ثلاثية ورباعية الأوديات لكتاب البنديكستاري بكامله، ولكنها سقطت من الاستعمال الليتورجي فيما بعد، وحُفظت في تيبيكون دير كْرِيْتوفِرِّي Κρυπτοφέρη الذي كان يعتمد على تيبيكون دير الستوذيت

لقد وضع الأخوان الستوذيت ترانيمهما لديرهما بشكل أساسي، ولكن هذه الترانيم انتشرت فيما بعد وعمّت في الكنيسة

اشتهر ثيودورس بالأنافثمي التي حملت اسمه لأنّه عدّلها وأعطاها صياغتها الحالية، كما هي في خدمة أيام الآحاد (للألحان الثمانية) في كتاب المعزّي، وأغناها بالمعاني اللاهوتية عن الروح القدس، كما نظم قوانين ثلاثية ورباعية في كتاب التريودي، ووضع ثلاثة قوانين كاملة محفوظة في كتاب التريودي: سبت مرفع اللحم وسبت مرفع الجبن وأحد الصليب، وكذلك القانون المرتّل في زيّاح الأيقونات في أحد الأرثوذكسية. ومن الإيذيوملات التي وضعها ذكصا غروب البارة إفروسيني (٢٥ أيلول)، وإيذيوملات من ليتين غروب ٨ تشرين الثاني و ١٣ تشرين الثاني، وذكصا أبوستيخن غروب القديس إغناطيوس (٢٠ كانون الأول)

نصوص:

١"- أنافثمي اللحن الأول:

الأنديفونة الأولى /مز ١١٩/

• إليكَ يا ربّ في تضايقي أصرخ قائلاً استمع توجّعاتي

• إنّ الشوق الإلهي يلازم أهل البراري بلا فتور لوجودهم خارجاً عن العالم الباطل

ذكصا كانين

• إنّ الكرامة والمجد يليقان بالروح القدس، كما يليقان بالآب والابن، ولذلك فلنترنّم مسبحين الثالوث العزّة الواحدة

الأنديفونة الثانية /مز ١٢٠/

• اللهم أنرني بلمعان الفضائل رافعاً إياي على جبال شرائعك، لكي أسبّحك

• احفظني أيّها الكلمة، وصُنّي ممسكاً إياي بيمناك، لئلا ألتهب بنار الخطيئة

ذكصا كانين

• إنّ الخليقة كلّها تتجدّد بالروح القدس راجعةً إلى كيانها الأول. لأنّه مساوٍ في القوة للآب والكلمة

الأنديفونة الثالثة /مز ١٢١/

• إنّ روحي تبتهج، وقلبي يفرح بالقائلين لي لننطلق إلى ديار الرب

• خوفٌ على بيت داوود عظيمٌ، فإنّ فيه الكراسي توضَع جهاراً، فتُحاكم كلُّ قبائل الأرض ولُغاتها

ذكصا كانين

• إنّ تقديم التكريم والسجود والمجد والعزة يحقّ للروح القدس، كما يحقّ للآب والابن، فإنّ الثالوث واحدٌ في الطبيعة لا في الأقانيم

٢"- أنافثمي اللحن الثاني:

الأنديفونة الثانية /مز ١٢٣/

• لو لم يكن الربّ فينا مَنْ كان يقدر أن يُحفَظ سالماً من العدو القاتل البشر

• لا تُسلِم عبدك هذا يا مخلّص إلى أنياب أعدائه، فإنّهم يثورون عليَّ كالأسود

ذكصا كانين

• إنّ الروح القدس هو عنصر الحياة وله الكرامة، فإنّه كإله يؤيد البرايا كلّها ويصونها بالآب والابن

٣"- أنافثمي اللحن الثالث:

الأنديفونة الثالثة /مز ١٢٧/

• طوبى لخائفي الربّ، فإنّهم يسلكون في سُبل وصاياه ويأكلون من كلّ ثمار الحياة الجنيّة

• تهلّل مسروراً يا رئيس الرعاة إذا ما أبصرتَ أولاد بنيك حول مائدتك يحملون أغصان الأفعال الصالحة

ذكصا كانين

• **بالروح القدس يكون كلُّ غنى المجد، ومنه**
النعمة والحياة لكلّ الخليقة، فإنّه
يُسبَّح له مع الآب والكلمة

٤"- أنافثمي اللحن الرابع:

الأنديفونة الأولى /مز١٢٨/

• **أهواء كثيرة تحاربني منذ صباي، فاعضدني**
أنتَ يا مخلّص وخلّصني

• **اخزوا يا مبغضي صهيون من تجاه الربّ، لأنّكم**
تكونون مجفَّفين بالنار مثل العشب

ذكصا كانين

• **بالروح القدس تحيا كلّ نفس، وتسمو بالطهارة**
مرتفعةً، وتبتهج بالوحدة المثلّثة متلألئةً
بطريقة خفيّةٍ شريفة

٥"- ذكصا أبوستيخن القديسة أنسطاسيا (٢٢ كانون الأول):

باللحن الرابع

أيّتها الشريفة أنسطاسيا الكلية الغبطة، لقد لُقّبتِ باسم قيامة
المسيح المحيية، وبسيرتكِ اتّبعتِ دعوتكِ كما يليق،
ولمّا شدَّدتِ الطبيعة مترجلةً بالعزم، نسجتِ برفيرةً
بحمرة دمائكِ، وإذ حملتِ الصليب كصولجان ملوكي،
فأنت تملكين مع الإله المخلّص، فإليه ابتهلي
لكي نستنيرنحن أيضاً من مجده الإلهي

ملاحظة: إن الأنافثميات تتماشى مع المزامير، فعلى سبيل المثال:

اللحن الأول

الأنديفونة الأولى يقابلها المزمور ١١٩
الأنديفونة الثانية يقابلها المزمور ١٢٠
الأنديفونة الثالثة يقابلها المزمور ١٢١

اللحن الثاني

الأنديفونة الأولى يقابلها المزمور ١٢٢
الأنديفونة الثانية يقابلها المزمور ١٢٣
الأنديفونة الثالثة يقابلها المزمور ١٢٤

اللحن الثالث

الأنديفونة الأولى يقابلها المزمور ١٢٥
الأنديفونة الثانية يقابلها المزمور ١٢٦
الأنديفونة الثالثة يقابلها المزمور ١٢٧

اللحن الثامن

الأنديفونة الأولى يقابلها المزمور ١٢٨
الأنديفونة الثانية يقابلها المزمور ١٢٩
الأنديفونة الثالثة يقابلها المزمور ١٣٠
الأنديفونة الرابعة يقابلها المزمور ١٣٢

٢- يوسف التسالونيكي:

يوسف التسالونيكي، هو أخو ثيودورس الستوذيتي، كما سبق وذكرنا، وهو ليس يوسف الناظم، الذي أتى بعده (+ ٨٨٠م.)، والذي يُصنَّف مع الإيطاليين. كتب يوسف مع أخيه قوانين ثلاثية ورباعية للخدم اليومية، كما

نظم قانوناً لأحد الابن الضال، وقوانين أخرى. نُفي ثلاث مرات من أجل جهاده ضدّ محاربي الأيقونات، ومات في الأسر بأمر من الأمبراطور ثيوفيلس (٨٢٩ – ٨٤٢م.). نقيم تذكاره في ١٤ تموز

نصوص:

١"– قنداق الميلاد:

اليوم البتول تلد الفائق الجوهر. والأرض تقرّب

المغارة لمَنْ هو غير مقتَرَب إليه.

الملائكة مع الرعاة يمجّدون،

والمجوس مع الكوكب في الطريق يسيرون،

لأنّه قد وُلد من أجلنا صبيٌّ جديد، الإله الذي قبل الدهور

٢"– قنداق القديس استفانوس رئيس الشمامسة (٢٧ كانون الأول):

باللحن الثالث / وزن اليوم البتول

أمس أقبل السيد بالجسد إلينا، واليوم العبد بارَح

الجسد، أمس وُلد الملك بالجسد واليوم العبد يُرجَم

بالحجارة من أجله، وبها قضى أجله، أعني به

استفانوس الإلهي أول الشهداء

٣– كليمندس الستوذيتي:

كليمندس الستوذيتي تلميذ ثيودورس الستوذيتي، وخَلَفه في رئاسة دير الستوذيت

كتب قوانين مختلفة، وفيها نجد اسمه كِيمنْدُس Κήμεντο أي بغياب حرف اللام

من قوانينه: النبي موسى (٤ أيلول)، ورؤساء الملائكة (٨ تشرين الثاني)، ويوحنا السلّمي (٣٠ آذار)، والفتية السبعة في أفسس (٤ آب)

وإليه يعود القانون والإيذيوملات غير المطبوعة والموجودة في أفخولوجي غُوار Goar صفحة ٥٥٦. وإنَّ بعض النقاد، مثل بيترا، يميّز بين شخصَين باسم كليمندس: الستوذيتي، والذي من دير كْريبْتوفيرِّي Κρυπτοφέρρη، أمّا البعض الآخر فيرون في الاثنين شخصاً واحداً

نصوص:

قانون موسى النبي (٤ أيلول):

تطريزه: "فليمتدح بالأقوال موسى كأول الأنبياء"

Ακροσ: Μωσῆς Προφητῶν πρῶτος αἰνείσδωλόγοις

ويمتاز هذا القانون بنفحته الكتابية وبتطابق الصياغة الشعرية مع المعلومات الكتابية

أرمس الأودية الأولى (باللحن الرابع، وزن Τὸ ἐρυθραῖον θαλάσης)

فليُمدح موسى أول الأنبياء، لأنّه بجسده عاين الله، متحدثاً معه بجلاء، وجهاً إلى وجه، وبصورة مباشرة

٤– كبريانوس السوذيتي:

كبريانوس هذا تلميذ ثيودورس الستوذيتي أيضاً، وصديق البطريرك إغناطيوس وشريك أتعابه

من أعماله: إيذيوملات، إستيشيرات غروب وليتين القديس سمعان العمودي (١ أيلول)، وليتين رفع الصليب الكريم (١٤ أيلول)، وذكصا الشهيد في الكهنة فوقا (٢٢ أيلول)، وليتين رؤساء الملائكة (٨ تشرين الثاني)، وإستيشيرات تقدمة الميلاد في ١٨ و ٢٠ كانون الأول، وإستيشيرات غروب القديسين العشر المستشهدين في كريت (٢٣ كانون الأول)، وذكصا

إينوس وأبوستيخن رئيس الشمامسة وأول الشهداء استفانوس (٢٧ كانون الأول)، وللقديس إفرام السوري (٢٨ كانون الثاني)، والشهيد تريفن (١ شباط)، والشهيد بروكوبيوس (٨ تموز)... إلخ

وهناك بعض الأراميس التي تحمل اسم الراهب كبريانوس، ينسبها بعض النقّاد إلى كبريانوس الستوذيتي نفسه

نصوص:

من قطع أبوستيخن غروب ١ أيلول:

باللحن الثاني

عجيبٌ أنت يا ربّ وعجيبةٌ أعمالك وسبلك لا يُستقصى أثرها، لأنّك أنتَ حكمة الله وأقنوم تام، وقوة وفعل مساوٍ له في الأزلية والأبدية. فلذلك قد أتيتَ إلى العالم بسلطانك القادر على كلّ شيء، طالباً الجِبلة التي جمّلتها من أمك غير العارفة رجلاً بحالٍ لا تفسَّر بدون استحالة في لاهوتك، واضعاً حدوداً وأزمنةً لخلاصنا فلذلك نهتف إليك أيّها الربّ الصالح الذي لا يتغيّر المجد لك

ملاحظة:

١"– جدير بالذكر أنّ هناك أيضاً العديد من الناظمين الستوذيتيين مثل ثيوكتيستوس ونيقولاوس وبطرس وسمعان وجبرائيل وآخرين (حوالي ٢٤ ناظماً)، ولكنهم قد أخفوا أسماءهم باستخدامهم الأحرف الأبجدية

٢"– هناك العديد من الإيذيوملات التي تحمل اسم أناطوليكا أو لأناطوليوس. فمن هو هذا الناظم أناطوليوس؟

١) إنّ البعض يعتقدون أنّه ناظم يعود إلى عصرٍ أقدم من يوحنا الدمشقي. وهو أناطوليوس القسطنطيني الذي حضر المجمع المسكوني الرابع

٢) والبعض الآخر يعتقدون أنّه أناطوليوس الذي عاش في القرن التاسع، أي أناطوليوس التسالونيكي (+ ٨٧٩م.)

٣) وآخرون يعتقدون أنّه أناطوليوس الستوذيتي الذي أتى بعد يوحنا الدمشقي بقليل (حوالي ٧٧٠ م.). وهذا هو الرأي الغالب

ولقد ساد الرأي عند البعض أنّ هذه الإيذيوملات تسمّى أناطوليكا، نسبةً لمضمونها وموضوعها. وإنّ البعض ينسبون إلى أناطوليوس الإيذيوملات التالية:

- ٥، ٨، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٤ أيلول
- ١، ٦، ٧، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦ تشرين الأول
- ١، ٥، ٨، ١١، ١٢، ١٣، ٢٤، ٣٠ تشرين الثاني
- ٤، ١١، ١٢، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧ كانون الأول
- ١، ٢، ٦، ١٠، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣١ كانون الثاني
- ٢، ١٤ شباط
- ٢٥ آذار
- ٢٣ نيسان
- ٩ أيار
- ١٧، ٢٤ حزيران
- ١، ٨، ١٥، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧ تموز
- ٦، ١٥، ٢٢ آب

نصوص:

١"- من أبوستيخن الظهور الإلهي (٦ كانون الثاني):

باللحن الثاني

أيّها المسيح الإله، إنّ يوحنا لمّا أبصركَ مقبلاً

إليه في نهر الأردن هتف قائلاً: كيف أقبلتَ نحو

العبد أيّها الربّ الذي لا دنس فيه. فباسم مَنْ

أعمّدك. أباسم الآب فإنّك حاملٌ إياه في ذاتك.

أباسم الابن فإنك أنت هو المتجسّد. أباسم الروح

القدس فإنّك قد عرفتَ أن تمنحه للمؤمنين بواسطة الفم.

فيا أيّها الإله الظاهر ارحمنا

٢"- من ليتين القديس أنطونيوس (١٧ كانون الثاني):

باللحن الثالث

أيّها البار أنطونيوس، لقد أتممتَ ممارسة النسك

الشديد بحرارة وبسالةٍ كأنّكَ مجرّدٌ عن الهيولى

لأنّك لما قصدتَ روحياً إلى القفار القاصية

وطئتَ مكامن الجنّ المستعرة بالنار، وإذ حصلت

متسامياً على كلّ فضيلةٍ استوطنتَ مع الملائكة

في ملكوت السماوات فلذلك ابتهل إلى

المسيح الإله أن يخلّص نفوسنا

II - القسطنطينيون:

لمع في القسطنطينية الكثير من ناظمي التسابيح، وإنّنا نقسمهم وفق المجموعات التالية:

أ- بطاركة:

١"- جرمانوس الأول[٤١] بطريرك القسطنطينية (٦٤٥ - ٧٤٠م.):

البطريرك جرمانوس هو ابن الأمير يوستينيانوس. وُلد في القسطنطينية عام ٦٤٥ م. وأصبح في عام ٧٠٥/٧٠٦ م. ميتروبوليت كيزيكوس Κυζίκου، ومن ثمّ بطريركاً على القسطنطينية عام ٧١٥ م. واجه الأمبراطور لاون الثالث الإيسافري في حربه ضدّ الأيقونات، فعُزل عن البطريركية عام ٧٣٠ م.، وأمضى بقية حياته في بيته المجاور للبلاط الملكي. تعيّد له الكنيسة في ١٢ أيار

حُفظ لنا من كتاباته: ١) "حول الهرطقات والمجامع"

٢) "حول قانون الحياة"

٣) أربع رسائل عقائدية

٤) تسع مقالات، سبع منها عن العذراء

٥) تسابيح

---

(٤١) راجع بخصوصه:

Θεοδ. Ξύδη, Γερμανός ὁ Ὁμολογητής, Νέα Ἑστία 1955, Βυζαντινή Ὑμνογραφία, Ἀθῆναι, 1978, P. 115-127

يُنسب إلى جرمانوس ١٠٤ إستيشيرات و٢٢ قانوناً وعدد كبير من الأراميس. وإنّ نظمه ينبع من الكتاب المقدّس، ويعبق بالصياغات العقائدية، كما يعتبره البعض ناظم المديح الذي لا يُجلس فيه

نصوص:

١"- إستيشيرا غروب ٢٥ كانون الأول:

باللحن الثاني

هلمّوا لنبتهج بالربّ، مذيعين السرّ الحاضر، فإنّه قد زال سياج الحائط المتوسط، والحربة اللهيبية تنقلب راجعة، والشيروبيم تبيح عود الحياة، أما أنا فأعود إلى التمتّع بنعيم الفردوس الذي نُفيت منه قبلاً بسبب المعصية، لأنّ صورة الآب وشخص أزليته، المستحيل أن يكون متغيّراً، قد اتّخذ صورة عبدٍ آتياً من أمٍّ لم تعرف زواجاً، خلواً من استحالةٍ، حيث لبث كما كان، إلهاً حقيقياً، واتّخذ ما لم يكن، إذ صار إنساناً لأجل محبّته للبشر، فلنهتف نحوه صارخين: يا مَنْ وُلد من البتول، اللّهمَّ ارحمنا

٢"- ذكصا إينوس ٢٥ كانون الأول:

باللحن السادس

لمّا حان أوان حضوركَ على الأرض، حدث اكتتاب المسكونة الأوّل، فحينئذٍ أزمعت أن تكتب أسماء البشر المؤمنين بمولدكَ، فقد صدر ذلك الأمر من قيصر إذ إنّ مملكتك الأبدية تجدّدت أزليتها، فلذلك نحن نقدّم ما هو أفضل من الجزية المالية، أعني الأقوال اللاهوتية المستقيمة الرأي، لك أيّها الإله المخلّص نفوسنا

٣"- كانين أبوستيخن ٣٠ كانون الثاني:

باللحن الخامس

لنبوّق ببوق النشائد، لأنّ ملكة الكلّ الأمّ البتول، قد انحنت من العُلى مطّلعة، فهي تتوّج بالبركات مادحيها، فليبادر معاً الملوك والرؤساء، ويحتفلوا بالتسابيح للملكة التي ولدت الملك، الذي لمحبته للبشر، سُرَّ أن يطلق المقبوض عليهم بالموت سابقاً، ويا أيّها الرعاة والمعلّمون، لنجتمع ونمدح الأمّ الفائقة النقاوة، أمَّ الراعي الصالح، المغارة المشرقة بالذهب، السحابة المتوشحة بالنور، التي هي أوسع من السماوات، التابوت الحي، عرش السيد ذا الصورة النارية، جرّة المنّ الذهبية، باب الكلمة المغلَقُ، ملجأ جميع المسيحيين مقرظين إياها بالنشائد الملهمة من الله قائلين هكذا: يا بلاط الكلمة، أهّلينا نحن الأذلاء لملكوت السماوات، لأنّه بوساطتكِ ليس شيء غير مستطاع

٢"- طاراسيوس بطريرك القسطنطينية (+ ٨٠٦م.):

أمين سرّ الأمبراطورة إيريني، اعتلى العرش البطريركي في السنوات ٧٨٤ – ٨٠٦ م.، وفي أيامه تمّ الإقرار بإكرام الأيقونات في المجمع المسكوني السابع المنعقد في نيقية عام ٧٨٧ م.

وتحفظ لنا المخطوطات بعض الخطابات لطاراسيوس والرسائل وقانون للسابق (٢٥ أيار) وقنداق لأحد الأرثوذكسية

نصوص:

قنداق أحد الأرثوذكسية:

باللحن الثامن

A: **كلمة الآب الذي لا يُحاط، قد تجسّد منكِ، وصار محصوراً، يا والدة الإله،**

وأعاد صورتنا الفاسدة إلى حسنها الأوّل، واتّحدها بالجمال الإلهي، لذلك نعترف بالخلاص، ونخبر به ونذيع بالقول والفعل معاً

B: **إنَّ الأنبياء قديماً قد أوحي إليهم إلهياً سرّ التدبير هذا فسبقوا وأخبرونا به نحن الذين قد حصلنا في آخر الأزمان النائلين لمعانه، فإذ أخذنا به معرفةً إلهيةً نعرف إلهاً وربّاً واحداً ممجّداً بثلاثة أقانيم له وحده، عابدين حاوين إيماناً واحداً ومعمودية واحدة، التي بها نلبس المسيح لذلك نعترف بالخلاص، ونخبر به، ونذيع بالقول والفعل معاً**

٣"– إغناطيوس بطريرك القسطنطينية (+ ٨٧٧م.):

وُلد نيكيتا عام ٧٩٨ م.، وهو ابن الأمبراطور ميخائيل الأول. رُسِمَ راهباً في سنّ الرابعة عشرة من عمره باسم إغناطيوس، وأصبح رئيساً لثلاثة أديرة. اعتلى العرش البطريركي مرّتين (٨٤٧–٨٥٧ م. و ٨٦٧–٨٧٨ م.)، وقد خلفه فوتيوس على العرش البطريركي. وكان لهذا الحَدَث أثر في الانقسام الحاصل بين الشرق والغرب. ويعود إلى إغناطيوس كلٌّ من القوانين التالية:

قانون ليعقوب المعترف (٢١ آذار)، وقانون لجاورجيوس أسقف ميتيليتي (٧ نيسان)، وقانون للشهيد لوكيلّيانون (٣ حزيران)، وقانون لنيكيفوروس بطريرك القسطنطينية (١٢ آذار)

كما ينسب إليه البعض مجموعة من القوانين الأخرى

٤"– فوتيوس بطريرك القسطنطينية (+ ٨٩١م.):

ولد عام ٨٢٠ م.، في القسطنطينية من عائلة معروفة، وكان أستاذاً للفلسفة في مدرسة مَغْنافرة Μαγναύρα، ومستشاراً خاصاً للأمبراطور

انتُخب بطريركاً بعد إقالة إغناطيوس، ورُسِمَ شمّاساً فكاهناً فأسقفاً وبطريركاً خلال ستّة أيام. أسقطه عن بطريركيته عام ٨٦٧ م. الأمبراطور باسيليوس الأول المكدوني، ثمّ عاد إلى عرشه البطريركي بعد موت إغناطيوس ٨٧٨ م. ترك البطريركية مجدّداً عام ٨٨٦ م. أيام الأمبراطور لاون السادس الحكيم، وعاش في دير بالقرب من القسطنطينية

كتاباته كثيرة، وتقسم إلى أربع مجموعات:

١"– اللاهوتية: مثل "التعليم عن الروح القدس" والـ "أمفيلوخيات"

٢"– الفلسفية: مثل "المكتبة" و "القاموس"

٣"– مواعظ ورسائل

٤"– تسابيح

كتب قوانين تضرّعية للعذراء مريم، حُفظ منها قانونان، وكذلك قنداق للقديسة إيريني، وإيذيوملات للقديس ميثوديوس المعترف (١٤ حزيران)

نصوص:

١"– أبوستيخن غروب ١٤ حزيران:

باللحن الرابع

إنَّ كنيسة الله تتزيّن اليوم بسرور، صارخةً بابتهاج: لقد تلألأ جمالي ساطعاً أكثر من كلّ مدينة، فها إنّ ذخيرة رؤساء الكهنة ميثوديوس المجيد، قد وجّه مسيره نحو السماء، فهلمّوا إذاً يا محبّي الأعياد، يا محفل المستقيمي الرأي، لننتصب ماثلين حول جرن أعضائه الموقّر، لننال منه فيضان الأشفية، ونبتهل إليه أن يستمدّ إلى المسيح الإله، أن ينقذ المسكونة من كلّ بدعة

٢"- ذكصا أبوستيخن سَحَر ١٤ حزيران:

باللحن السادس

لقد أشرق كوكب العبادة الحسنة، من مغارب الشمس الظاهرة، ميثوديوس المعظَّم في رؤساء الكهنة، مزيلاً قتام ظلمة ذوي الرأي الوخيم، فاستقرّ في المشرق الحقيقي، مشرق شمس العدل المسيح إلهنا، فإذ إنّه مستوطنٌ هناك، مع مصافّ العادمي الأجساد، وماثلٌ لدى عرش الثالوث، بمنزلة بارٍّ وشهيدٍ وكاهنٍ ورئيسِ آباءٍ بالعمل والثاوريًا، فهو يستمدّ لنا، نحن المقيمين بإيمانٍ تذكاره المقدَّس الرحمة العظمى

ب- رؤساء كهنة:

١"- إفرام أسقف كارياس:

إنه معاصر لفوتيوس. لمع في أواسط القرن التاسع للميلاد. وقد حُفظ من كتاباته إيذيوملات أبوستيخن الإينوس والذكصا للقدّيس الشهيد آنثيموس (٣ أيلول)، وذكصا غروب يواكيم وحنة (٩ أيلول)، وذكصا أبوستيخن غروب القديس إفستاطيوس (٢٠ أيلول)، وذكصا أبوستيخن غروب القديسين الشهيدين أكِبْسيما وأَيِثالا (٣ تشرين الثاني)، وذكصا غروب الشهيدين أدريانوس وناتاليا (٢٦ آب)، وترانيم أخرى

نصوص:

ذكصا غروب ٢٦ آب:

باللحن الأول

إنّ الغيرة قد اجتذبت إمرأةً محبَّةً لله، إلى أن تعظ رجلاً حسن العبادة ببهجةٍ

لأنَّ أدريانوس الكلي الفضل، لمّا انقاد لأقوال ناتاليا، أتمَّ سعي الجهاد، فيا لها من امرأةٍ محبَّةٍ لله، لأنَّها لم تقدّم لبعلها فساداً، كما صنعت حواء بآدم، بل سبَّبت له حياةً خالدةً، فلنقرّظها إذاً مع رجلها هاتفين إلى المسيح: امنحنا معونةً بشفاعات قديسَيْك

٢"- مرقس أسقف إيذْرُونْدُس

عاش مرقس أسقف إيذْرُونْدُس في أُوتْرانْتُو Otranto جنوب إيطاليا أيام الأمبراطور لاون الحكيم، وعُرف بأناشيده وتسابيحه. ويرد اسمه "مرقس الراهب" في تسابيحه

أكمل طروباريات الأوديات الأربع الأولى (الأولى – الخامسة) من قانون السبت العظيم "**إنّ أمواج البحر...**"، الذي تعود أراميسه إلى كسياني. كتب أيضاً مجموعة من الأفاشين

وإنَّ الملاحظات التيبيكونية المحفوظة كملحق في التيبيكون الأورشليمي تُنسب إليه "فصول مرقس Κεφάλαια Μάρκους"

٣"- جاورجيوس أسقف نيقوميدية:

لمع في النصف الثاني من القرن التاسع

كان من أصدقاء فوتيوس الكبير وأتباعه، وقد رسمه في عام ٨٦٠ م. ميتروبوليتاً على نيقوميدية

كتب مواعظ وحياة القديس سابا، وتقاريظ لكوزما ودميانوس والقديس نيقولاوس، وإيذيوملات متفرّقة وأراميس، فقد لمع كشاعر عظيم[٤٢]

(٤٢) راجع بخصوصه:

Στ. Παπαδοπούλου, Πρόσωπα τῆς Ἀρχαίας Ἐκκλησίας, Ἀθῆναι 1968, σ. 106-108

وإنّنا نميّز بين جاورجيوس هذا وجاورجيوس آخر، الذي تعود إليه قوانين الفريسي والعشّار وغريغوريوس بالاماس و ١١ أيلول و ٨ تشرين الأول و٢١ تشرين الثاني و ٨ و ٩ و ٢٩ كانون الأول و ٢٥ شباط و ٤ و ١٦ و ٢٤ و ٢٩ آذار و ١٨ أيّار و ٢٤ حزيران و ٣١ آب

٤"- ميطروفانيس أسقف أزمير[٤٣]:

لمع في النصف الثاني من القرن التاسع

كان صديقاً للبطريرك إغناطيوس. وقد حضر المجمع المنعقد ضدّ فوتيوس وتكلّم ضدّه عام ٨٦٩ م. ولهذا حرمه فوتيوس فيما بعد

كتب تقاريظ للقدّيس بوليكربوس ولرئيسَي الملائكة ميخائيل وجبرائيل، وتفسيراً لرسالة يوحنا الأولى وللرسائل الجامعة، وتفسيراً لسفر الجامعة. وضع القوانين الثالوثية الموجودة في المعزّي، والتي ترتّل في صلوات نصف الليل في الآحاد

نصوص:

الأودية الأولى لقانون التريادّيكي:

الأرمس (باللحن الأول)

إنَّ السيرافيم يمجّدون بدون صمتٍ رئاسةً واحدةً، ذات ثلاثة أقانيم لا بدء لها

(٤٣) راجع بخصوصه:
Βασιλείου Γεωργιάδου, 'Εκ τῶν τοῦ Μητροπολίτου Σμύρνης Μητροφάνους, Ἐκκλ. 'Αλήθεια Γ΄(1883) 298-302, 557-561, 573-577

أزليةً خالقةً كلَّ الأشياء غير مُدرَكة، وجميع الألسنة تكرّمها بالأناشيد عن إيمان

طروباريات

لكيما توضح للبشر وحدة لاهوتك المثلّث الضياء، صوَّرتَ الإنسان على مثالك حينما جبلتَه قديماً، مانحاً إياه عقلاً ونطقاً وروحاً بما أنّك محبٌّ للبشر

أيُّها الآب، لقد أوضحتَ منذ البدء وحدة عزّة الرئاسة الإلهية المثلّثة الأقانيم، إذ قلتَ لابنكَ وللروح المساويَيْن لكَ في الصنع هلمَّ ننحدر ونبلبل ألسنتهم

إنَّ الحكماء قد دعَوْا على سبيل الرسم الآبَ غير المولود، عقلاً، والابن المساوي له في الطبيعة كلمةً مساوياً له في الأزلية، والأقنوم الثالث روحَ قدسٍ، وهو الذي صنع تجسّد الكلمة في أحشاء العذراء

ج- أباطرة:

١"- يوستينيانوس (٥٢٧-٥٦٧م.):

ينسب البعض من النقّاد إلى يوستينيانوس الترنيمةَ المعروفة: "**يا كلمة الله الابن الوحيد...**"

٢"- لاون الحكيم (٨٨٦-٩١٢م.):

لاون الحكيم، الأمبراطور البيزنطي الذي دخل في صراع مع البطريرك القسطنطيني نيقولاوس المستيكي، وذلك بسبب الزواج الرابع الذي عقده الأمبراطور بعد وفاة امرأته الثالثة. وهذا ما طرح على بساط النقاش الكنسي موضوع الزواج الرابع

وقد اشتهر بالكتابة والشعر. ومن جملة ما نظم، ذكصات الإيوثينا الإحدى عشرة، وذكصا أبوستيخن غروب العنصرة، وكذلك وضع إيذيوملات لـِ ١٤ أيلول و ١٧ آب، وإيذيوملون في أبوستيخن إينوس يوم الجمعة قبل الشعانين.

نصوص:

١"- إيذيوملون أبوستيخن غروب العنصرة:

باللحن الثامن

هلمّوا أيّها الشعوب، نسجد للآهوت ذي الثلاثة الأقانيم، ابنِ في آبٍ مع روح قدسٍ، لأنَّ الآب ولد ابناً خلوّاً من زمان، ومساوياً له في الأزلية والعرش والروح القدس كان في الآب ممجَّداً مع الابن قوةٌ واحدةٌ، جوهرٌ واحدٌ، لاهوتٌ واحدٌ، الذي فلنسجد له جميعنا قائلين: قدوسٌ الله الذي أبدع كلّ شيءٍ بالابن، ومؤازرة الروح القدس، قدوسٌ القوي الذي به عرفنا الآب والروح القدس أقبل إلى العالم، قدوسٌ الذي لا يموت الروح المعزّي المنبثق من الآب، المستقرّ في الابن، أيّها الثالوث القدّوس المَجْدُ لك

٢"- الإيوثينا الخامسة:

ما أحكم أحكامك أيّها المسيح، كيف منحتَ بطرس أن يفهم بالأكفان وحدها قيامتك. أمّا لوقا وكلاوبّا فقد خاطبتهما فيما كنتَ سائراً معهما، ولم تظهر لهما نفسكَ في الحال وأنتَ تخاطبهما. ولذلك عيَّراك بأنّك وحدكَ غريبٌ في أورشليم، ولم تشترك في معرفة ما حدث فيها أخيراً من المشاورات والقضاء. ولكنكَ يا مَنْ يدبّر كلَّ الأشياء على ما يوافق جبلته، شرحت لهما ما وردَ عنكَ من النبوّات، وفيما أنتَ تبارك الخبز عرفاك، وقد كانت قلوبهما قبيل ذلك ملتهبةً لمعرفتك، ثم كرزا

هما مبشرَيْن التلاميذ علانيةً بقيامتك، فيما كانوا مجتمعين، فبها يا ربُّ ارحمنا

٣"- الإيوثينا السابعة:

ها إنَّه غَلَسٌ وبكرةٌ بعد، فلماذا وقفتِ عند القبر يا مريم، وقد غشي أفكاركِ ظلامٌ حالكٌ. وكنتِ فيه تطلبين أين وُضع يسوع. انظري التلميذَين اللذين ركضا معاً إلى القبر، كيف استدلاّ بالأكفان والمنديل على قيامته، متذكّرَيْن ما ورد عنه في الكتب. فنحن إذ قد آمنّا بواسطة التلاميذ، نسبّحكَ معهم أيُّها المسيح المانح الحياة

٣"- قسطنطين السابع (٩٠٥ - ٩٥٩م.):

هو ابن لاون الحكيم. أصبح أمبراطوراً عام ٩١٣ م.، وقد قام مجمع وصاية عليه برئاسة البطريرك نيقولاوس الأول المستيكي، ثمّ برئاسة أمّه تُوبِي

حكم في الأعوام ٩٢٠ - ٩٤٤ م. مع حميه رومانوس لاكابينوس، ثمّ مع ابن حميه، وهكذا لم يتمتّع أبداً بالسلطة بشكل قوي

كتب تاريخ جدّه باسيليوس الأول المكدوني، كما اهتمّ بالنظم الكنسي، فوضع الإكسابوستلاريات الإحدى عشرة المعروفة، والتي ترتّل أيام الآحاد (دون الثيوطوكيات التابعة لها)

إنَّ العدد ١١ الذي تحمله الإيوثينات والإكسابوستلاريات، يظهر أنّه متأتٍّ من كون أنّ المسيح قد ظهر بعد قيامته لتلاميذه الأحد عشر

نصوص:

١"- الإكسابوستلاري الأول:

لنجتمعنّ مع التلاميذ، في جبل الجليل لكي نعاين المسيح بالإيمان يقول: قد

أخذت السلطان على ما فوق وعلى ما أسفل، ونعلم كيف يعلّم بتعميد كلّ الأمم، باسم الآب والابن والروح القدس، وأنّه يكون مع ملقّني أسراره إلى منتهى الدهر كما وعد

٢"- الإكسابوستلاري الحادي عشر:

إنَّ الربَّ عند سؤاله بطرسَ ثلاث مرّاتٍ من بعد قيامته الإلهية: أتحبُّني ؟، أقامه رئيس رعاة لخرافه. وهذا حين رأى الذي كان يسوع يحبّه يتبع يسوع، سأل السيد قائلاً: ما لهذا ؟، فقال يسوع: إنْ شئتُ أن يثبتَ هذا إلى أن أعود فأجيء، فماذا لكَ يا بطرس حبيبي

د- رهبان:

١"- كسياني الراهبة:

تعرف باسم كسياني، وكذلك كاسِيّا، أو إيكاسِيّا

إنّها الفتاة المعروفة في عصرها التي، حسب الرواية، لم يقع عليها اختيار الأمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩-٨٤٢ م.) بسبب جوابها له. عندما تقدَّمت إلى البلاط ١٢ فتاة كي يختار الملك واحدةً منهن لتكون زوجةً له، توقّف ثيوفيلوس أمام كسياني وقال لها: "المرأة هي سبب الهلاك"، قاصداً بذلك حواء. ولكن كسياني أجابته: "ولكن الخلاص نبع من المرأة أيضاً"، قاصدة بذلك العذراء، فتركها آنذاك ثيوفيلوس واختار زوجةً له ثيوذورة، فانسحبت كسياني، وقضت بقية حياتها في أحد الأديرة. انشغلت كسياني بالنظم الكنسي، واشتهرت بتسابيحها. وإليها يعود الكثير من التسابيح، ومنها: ذكصا غروب الميلاد الشهيرة: "**إنّ أغسطس لمّا انفرد بالرئاسة على الأرض...**"، وذكصا الأربعاء العظيم المعروفة: "**إنّ المرأة الخاطئة...**"، والأراميس الأربعة الأولى من قانون السبت العظيم: "**إنّ أمواج البحر المتموّج...**"،

(أمّا طروباريات هذه الأوديات فتعود إلى مرقس أسقف إيذُروندُس Υδρούντος ؛ والأوديات المتبقية من نظم كوزما أسقف ميّومة)

وتحمل اسم كسياني أيضاً العديد من الإيذيوملات، مثل إيذيوملات ١٥ تشرين الثاني و ١٣ كانون الأول و ٢٤ حزيران

نصوص:

١"- ذكصا غروب الميلاد:

باللحن الثاني

إنَّ أغسطس لمّا انفرد بالرئاسة على الأرض، بطلت كثرة رئاسات البشر، وأنت لمّا تأنّستَ من النقيّة، بطلت عبادة كثرة الآلهة الوثنية. فالمدن صارت تحت سلطةِ واحدةٍ عالمية، والأمم آمنوا بسيادةٍ واحدةٍ إلهية. الشعوب اكتُتِبوا بأمر قيصر، وأمّا نحن المؤمنين فقد كُتبنا باسم لاهوتك. يا إلهنا المتأنّس، فعظيمةٌ مراحمك، المجد لك

٢"- ذكصا أبوستيخن الأربعاء العظيم:

باللحن الثامن

يا ربّ، إنَّ المرأة التي سقطت في خطايا كثيرة، لمّا شعرت بلاهوتكَ، اتّخذت رتبة حاملات الطيب، وقدَّمت لكَ طيوباً قبل الدفن، منتحبةً وهاتفةً: ويحي، لقد حصل لي شغف الفجور، وعشق الخطيئة ليلاً مقتماً فاقدَ الضياء، فاقبل ينابيع دموعي، يا مَنْ يجتذب مياه البحر بالسحب، وانعطف لزفرات قلبي، يا مَنْ احنيتَ السموات بتنازلكَ الذي لا يُدرك. فأقبّل قدميْكَ الطاهرتين وأنشفهما بضفائر رأسي اللتين لمّا طنَّ صوتُ وطئِهما في مسامع حوّا في الفردوس، جزعَتْ واستترت خوفاً. فَمَنْ يفحص كثرة خطاياي ولجج أحكامِك، فيا مخلّصي المنقذ نفسي، لا تُعرِض عني أنا عبدتك، يا مَنْ له الرحمة التي لا تُحصى

٣"- الأرمس الأول من قانون السبت العظيم:

باللحن السادس

إنَّ أولاد الذين نَجَوا قد أخفَوا تحت الثرى الإلهَ الذي أخفى الماردَ المضطهد قديماً في أمواج البحر. وأمّا نحن فلنسبّح الربَّ كالفتية لأنَّه بالمجد قد تمجّد

٢"- سمعان المترجم:

إنَّه الرجل المعروف بثقافته في بيزنطية، في النصف الثاني من القرن العاشر، وقد أصبح راهباً في آخر حياته. نعيّد له في ٢٨ تشرين الثاني. كتب تاريخ السنوات ٨١٣-٩٤٨ م.، ومجموعة سنكسار (حياة القديسين)، أعاد من خلاله كتابة حياة العديد من القديسين، ولهذا عُرف "بالمترجم"

كما وضع مجموعةً من المقالات الأخلاقية والأشعار

نَظَم قوانين وتديّة ثلاثية الإيقاع. نَظَم قانون المطالبسي وقنداقاً للقدّيس سابا، وإستيشيرات ألفبائية (حسب الحروف الأبجدية: الحرف الاول من كل طروبارية يتبع التسلسل الألفبائي)، ترتّل في غروب أربعاء الأسبوع الخامس من الصوم الأربعيني

نصوص:

من قانون المطالبسي:

الأودية الأولى (باللحن الثاني)

أيّها الربّ المتحنن، فليصر لي جسدك المقدّس ودمك الكريم خبز حياة أبدية، ودواءً شافياً الأمراض الجزيلة أنواعها

أيّها المسيح، بما أنّي قد تدنّستُ أنا الشقي بأعمالٍ قبيحة، فحصلتُ غير مستحقٍّ لشركة جسدك الطاهر ودمك الإلهي، فأهّلني لها

أيّتها المباركة عروس الله، الأرض الصالحة، يا مَنْ أفرعتِ السنبلة المخلّصة العالم من غير فلاحةٍ، أهّليني أن أخلصَ بأكلي منها

٣"- دميانوس الراهب:

يظهر دميانوس كناظم لعشرة أراميس. ولهذا يُعتقد أنَّه قد عاش، على الأغلب، في الفترة التي كثر فيها وضع القوانين

من القوانين التي تحمل اسم دميانوس، قانون رقاد السيدة (باللحن الثاني)، وقانون لميلاد السابق، وللقديس باسيليوس، والقديسين الأربعين شهيداً

٤"- سمعان اللاهوتي الجديد (٩٤٩ - ١٠٢٢م.):

ينحدر من بَافْلَغُونيّة Παφλαγονία، أتى إلى دير الستوذيت في القسطنطينية عام ٩٧٧ م.، وأصبح رئيساً لدير القديس ماما عام ٩٨٠ م.

نُفي عام ١٠٠٩ م. إلى خريسوبولي، ثمّ قضى بقية حياته في دير القديسة مارينا، وتوفي هناك، ويُعتبر من القديسين واللاهوتيين العظام

كتب ٣٤ مقالة تعليمية و ٥٧ تسبيحاً، وأشياء أخرى كثيرة

نصوص:

من قانون المطالبسي:

إفشين

من شفاهٍ دنسةٍ وقلبٍ مرذولٍ ولسانٍ غيرِ طاهرٍ ونفسٍ قذرة، تقبَّلْ تضرُّعاً يا مسيحي. ولا تَرذُلْ أقوالي ولا تصرُّفاتي ولا جُرأتي، بل هَبْني يا مسيحي أنْ أقولَ

بدالَّةٍ ما ارتأيتُ، وبالأحرى علِّمني ما يجبُ أنْ أصنعَ وأقول

خطِئتُ أكثرَ من الزّانيةِ التي علِمتْ أين مقرُّك، فاشترَتْ طيباً وأتَتْ بجُرأةٍ لتدهَنَ قدمَيْك، أيُّها المسيحُ سيِّدي وإلهي

فكما أنَّكَ لم تُقصِ تلكَ لمَّا أقبلَتْ إليكَ من صميمِ قلبها، لا تُقصِني أنا أيضاً أيُّها الكلمة، بلِ امنَحْني أنْ أمسُكَ قدمَيْكَ وأُقبِّلَهُما وأدهَنَهُما بجُرأةٍ بسَيْلِ الدُّموع، كما بطيبِ جزيلِ الثَّمن

إغسِلْني بدموعي وطهِّرْني بها، أيُّها الكلمة، واصْفَحْ عن زلاَّتي وامنَحْني الغفران

فإنَّكَ عارفٌ بكثرةِ شروري وعالِمٌ بجِراحاتي وناظرٌ كُلومي. لكنَّكَ تعلمُ أيضاً إيماني، وتنظرُ إلى حُسنِ استعدادي، وتسمعُ تنهُّداتي

ولا يَخفى عليك، يا إلهي وصانِعي وفاديَّ، قَطْرةٌ من الدُّموعِ ولا جزءٌ مِنَ القَطْرة

إنَّ ما لَمْ أفعَلْهُ تعرِفُهُ عيناك. وفي كتابِكَ مكتوبٌ ما لَمْ أفعلْهُ بعدُ أيضاً

أُنظرْ إلى ذِلِّي. أُنظرْ إلى تَعَبي، ما أكثَرَه. واغفِر لي خطاياي جميعَها، يا إلهَ الكل. لكيْ أتناولَ بقلبٍ طاهرٍ وذِهنٍ مُرتعِدٍ ونفسٍ مُنسحقةٍ أسرارَكَ الكليَّةَ النقاوة، التي بها يَحيا ويتأَلَّهُ كلُّ مَنْ يأكلُكَ ويشربُكَ بقلبٍ نقي

فإنَّكَ أنتَ قلتَ، يا سيِّدي: مَن يأكل جسدي ويشربْ دمي يثبتْ فيَّ وأنا فيه

وقولُ سيِّدي وإلهي صادقٌ على كلِّ حال. لأنَّ مَنْ يشتركْ في النِّعَمِ الإلهيَّةِ والمؤلِّهةِ لا يَكُن وحدَه، حاشا، بل هو معكَ أيُّها المسيح، الضياءُ الثلاثيُّ الشموسِ المنيرُ العالم

فلئلاَّ أبقى وحدي بدونِك، يا معطي الحياة، يا نَسَمَتي وحياتي وبهجَتي وخلاصَ العالم، تقدَّمتُ إليك، كما ترى، بدموعٍ ونفسٍ منسحقة، طالباً أن أنالَ النَّجاةَ من زلاَّتي، وأن أتناولَ بلا دينونةٍ أسرارَكَ المُحييةَ والبريئةَ منَ العيوب، كي تبقى، كما قلتَ، معي أنا المثلَّثَ الشقاء، ولئلاَّ يَجدَني المُضِلُّ منفصلاً عن نعمتِكَ فيَختطِفَني بغِشٍّ، ويُضِلَّني مُبعِداً إيَّاي عن أقوالِكَ المؤلِّهة

لذلكَ أجثو لديكَ وأصرخُ إليكَ بحرارة

كما قبِلتَ الابنَ الشاطرَ والخاطئةَ المُقبلةَ إليك، هكذا اقبَلْني، يا رؤوفُ أنا الخاطئَ والابنَ الشاطرَ المُقبِلَ إليكَ الآنَ بنفسٍ مُنسحقة

أنا أعلمُ يا مخلِّص، أنَّه لمْ يَخْطَأ إليكَ آخرُ كما خطِئتُ أنا، ولمْ يفعَلْ أحدٌ الأفعالَ التي فعلتُها

لكنِّي أعلمُ أيضاً أنَّه لا عِظَمُ الزلاَّتِ ولا كثرةُ الخطايا تفوقُ طولَ أناةِ إلهي ومحبَّتِهِ الفائقةِ للبشر. لكنَّك تُطهِّرُ وتُضيءُ بزيتِ شَفَقتِكَ التائبينَ بحرارة، وتجعلُهم شركاءَ النّور، وتُقيمُهُم شركاءَ أُلوهيَّتِكَ بسخاء. والأمرُ المستغرَبُ عندَ الملائكةِ وأذهانِ البشرِ أنَّكَ تُخاطبُهم مرَّاتٍ كثيرةٍ كأحبَّاءَ لكَ أخِصَّاء

هذه تصيِّرُني جَسُوراً. هذه تجعلُ لي أجنحةً، يا مسيحي. فأتناولُ النَّارَ، أنا العُشبَ، فَرِحاً ومرتعِداً معاً، واثِقاً بإحساناتِكَ الغنيَّةِ إلينا. يا لَلْعَجَبِ الغريب! لأنِّي أتندَّى بحالٍ لا يوصفُ مثلَ العلَّيقةِ قديماً التي كانت تلتهبُ بغيرِ احتراق

لذلكَ بعزمِ شاكرٍ وقلبٍ شاكر، وأعضاءِ نفسي وجسدي الشاكرة

أسجدُ لك، وأعظِّمُكَ وأمجِّدُك، يا إلهي، بما أنَّكَ مباركٌ الآنَ وإلى الدُّهور

ثالثاً: الإيطاليّون

احتلّ جنوب إيطاليا مع جزيرة صقلية مركزاً هامّاً للنظم الكنسي، وقد عرف مدرستين للنظم الكنسي:

الأولى: مدرسة السراقنة Τῶν Σαρακουσῶν، وقد نشأت هذه المدرسة، على الأغلب، من القادمين من الشرق، وبشكل خاص من سورية ومصر، إلى جزيرة صقلية نتيجة لاضطهادات السراقنة في الشرق. اشتهر في هذه المدرسة كثيرون، منهم: يوحنا ثاريستيس، وإيليا الصقلّي، وجاورجيوس الصقلّي، ولوقا أنْثراكِفْس، ويوسف الناظم (+ ٨٨٦م.)،

وثيوفانيس تلميذ يوسف الناظم، ونيقولاوس كاسُولانُس، وكذلك ميثوديوس سِيراكوسِيُس (+ ٨٨٦م.)، ونيقولاوس ميستيكُس (+ ٩٢٥م.)، اللذين اعتليا العرش البطريركي في القسطنطينية

الثانية: مدرسة كْرِيبْتوفارّيس Κρυπτοφέρης، فقد أصبح دير Κρυπτοφέρρης، الواقع بالقرب من روما، مركزاً يونانياً معروفاً للنظم الكنسي، وقد خرج منه ناظمون عدّة، منهم نيلوس المؤسس (+ ١٠٠٥م.) وتلاميذه برثلماوس (+ ١٠٥٥م.) وجرمانوس ويوحنا وبروكوبيوس

١- جاورجيوس الصقلّي:

عُرف جاورجيوس كناظم ومرنِّم. وإليه تعود إيذيوملات ٢٦ تشرين الأول و ٢٧ تشرين الثاني، وكذلك بعض الأراميس

نصوص:

ذكصا أبوستيخن ٢٧ تشرين الثاني:

باللحن الثامن

يا محبّي المشاهد، التئموا اليوم بإيمان، وانظموا جهاداً غريباً فائقاً، ليعقوب الذي ظهر لنا من فارس، بمثابة النجم الذي ظهر للمجوس، مرشداً إيانا إلى المعرفة الحقيقية، لأنَّ هذا الشجاع بسقوطه قد هزم المحاربين، وبتقطّع أوصاله قد أضعف المغتصبين، متشدّداً بالعناية العلوية وهاتفاً: إن كنتم تقطّعون أعضائي المحسوسة، فالمسيح معي في كلّ الأشياء عقلياً، فلذلك إذ سبق فعاين الحياة المتوقّعة بواسطة الموت المحتوم على الجميع، بادر للوصول إليها، فبحصوله عليها يلتمس لنا نحن المقيمين تذكاره، من الإله المانح الأكاليل، الغفران والاستنارة والرحمة العظمى

٢- يوسف الناظم (٨١٠ - ٨٨٦م.):

يكنّى بالغريب، لأنّه ينحدر من صقلية

عندما احتلّ العرب جزيرة صقلية، هرب مع أمّه وإخوته إلى تسالونيك، وصار هناك راهباً، ثم انتقل إلى القسطنطينية. طُرد من القسطنطينية في فترة حرب الأيقونات، أيام الأمبراطور لاون الخامس الأرمني (٨١٣-٨٢٠م.)، فذهب إلى روما، حيث سقط في أيدي القراصنة، الذين سجنوه في كريت حتّى عام ٨٣١ م. وبعد إطلاقه عاد إلى القسطنطينية. تعيّد له الكنيسة في ٣ نيسان. كتب الكثير من القوانين، مائتي قانون حسب البعض وثلاثمائة حسب آخرين. وقد أغنى المعزّي بقوانين وإستيشيرات لأيام الأسبوع، صائراً بذلك أباً للمعزّي. وإليه تعود أيضاً طروباريات قانون المديح الذي لا يُجلَسُ فيه

تمتاز قوانينه عادةً بأنَّ "تطريز" الأوديّة التاسعة يشكل كلمة "إيوسيف" Ιωσήφ

كما أنّه يستخدم الألفبائية في بعض قوانينه بمثابة "تطريز" في بعض أورياته، ففي قانون ٢١ تشرين الثاني تشكّل الأودية الثامنة، مثلاً، تطريزاً ألفبائياً (Ω-A)، أمّا الأودية التاسعة فخلافها (A-Ω)

نصوص:

١"- من قانون المديح:

الأودية الأولى

لمّا شاهدكِ رئيس الملائكة العظيم يا نقية، أنّكِ مصحفٌ للمسيح متنفسٌ مختومٌ بالروح، هتف نحوكِ قائلاً: إفرحي يا مسكنَ الفرح والسرور، يا مَنْ بها تنحلّ لعنة الأمّ الأولى

إفرحي أيتها العذراء عروس الله، يا إصلاحَ آدمَ وتقويمه، إفرحي يا مَنْ أماتت الجحيم، إفرحي يا بريئةً من كلّ العيوب، إفرحي يا بلاطاً للملك الوحيد، إفرحي يا عرشاً نارياً للضابطِ الكلّ

السلام عليكِ يا مَنْ أفرعتِ وحدكِ الوردةَ العادمة الذبول، إفرحي يا مَنْ ولدتِ التفاحة الذكية العرف لمشامّ ملك الكلّ، إفرحي يا مَنْ لم تعرف زواجاً، السلام عليكِ يا خلاصَ العالم

إفرحي يا ذخيرة النقاوة، إفرحي يا مَنْ بها نهضنا من سقطتنا، إفرحي أيتها السيدة، يا سوسناً لذيذ التنسّم معطّراً المؤمنين، وبخوراً ذكي الرائحة، وطيباً جزيل الثمن

٢"- من قانون دخول السيدة إلى الهيكل (٢١ تشرين الثاني):

أرمس الأودية الثامنة

إسمعي أيتها الفتاة البتول النقية، لكي يقول غفرئيل عن مشيئة العلي الأزلية الصادقة. كوني مستعدة لاستقبال الإله، لأنّ غير الموسوع بكِ يخالط الأنام، فلذلك أهتف مسروراً: باركوا الربَّ يا جميع أعماله

طروباريّات

إنَّ حنّة قديماً، إذ قدَّمت هيكلاً طاهراً في بيت الله، هتفت قائلةً للكاهن بإيمان: تقبَّل الآن الثمرة الممنوحة لي من الله. وأدخلها إلى هيكل خالقك، ورتّل لله بفرحٍ قائلاً: باركوا الربَّ يا جميع أعماله

إنَّ زخريا لمّا أبصر حنّة قديماً، قال لها، بالروح: إنّكِ تدخلين إلى الهيكل أمّاً حقيقيةً للحياة، التي سبق أنبياء الله فأنبأوا عنها بجلاء أنّها والدة الإله، ولكن كيف يسعها لذلك أهتف متعجباً: باركوا الربَّ يا جميع أعماله

أجابته حنة: إنّني أصبحتُ عبدةً للربّ، داعيةً إياه بالإيمان وبالصلاة، أن أنال ثمرة مخاضي، وبعد ولادتي أقدّم المولود للذي جاد به عليَّ، فلذلك أهتف فرِحَةً: باركوا الربَّ يا جميع أعماله

أرمس الأودية التاسعة

يا والدة الإله، بما أنّكِ تابوتٌ متنفسُ لله، فلا تلمسكِ يدٌ مدنّسة، أمّا شفاه المؤمنين فلتمدحكِ بغير فتور، هاتفة نحوكِ بصوت الملاك بابتهاجٍ قائلةً: أيتها البتول النقية إنّكِ بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

طروباريّات

يا والدة الإله النقية، إذ قد أحرزتِ جمالَ نفسِكِ النقيَّ فائقَ البهاء، وانبسطتْ عليكِ نعمة الله من السماء، فأنتِ تنيرين بالنور الأزلي على الدوام، الهاتفين بسرور: أيتها البتول النقية، إنّكِ بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

يا والدةَ الإله النقيّة، إنَّ عجائبكِ تفوق قوة الأقوال سموّاً، لأني أدرك أن لكِ جسداً يفوق الوصف، غير قابل سَرَيان الخطيئة، لذلك أهتف نحوكِ بشكرٍ، إنّكِ أيّتها البتول النقية بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

أيّتها النقيّة، إنَّ الشريعة سبقت فرسمتكِ بحالٍ مستغربة، أنّكِ مظلّةٌ وجرّةٌ إلهية، وتابوتٌ غريبٌ وسترٌ وعصا، وهيكلٌ غير منتقص وبابٌ لله، لذلك تعلّم أن يهتف نحوكِ أيّتها البتول النقية: إنّكِ بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

إنَّ داوود لمّا سبق فشدا بكِ مرتّلاً، تكلّم عنكِ أنّكِ ابنة الملك، لأنّه رآكِ ماثلةً عن ميامن الله، مزيَّنةً بجمال الفضائل، فلذلك هتف متنبّئاً عنكِ أيتها البتول النقية، أنّكِ بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

إنَّ سليمان لمّا سبق فرآكِ متقبّلةً لله، فتح لكِ باب المَلِك والينبوع الحيّ المختوم، الذي فاضَ لنا منه الماء الصافي، نحن الهاتفين بإيمان: أيّتها البتول النقية، إنّكِ بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

يا والدة الإله، إنّكِ تمنحين نفسي هدوَّ مواهبكِ، مفيضةً الحياة على الذين يكرمونكِ حسب الواجب، مكتنفةً إيّاهم وساترةً وصائنةً لهم، لكي يهتفوا نحوكِ، أيتها البتول النقية، إنّكِ بالحقيقة أسمى رفعةً من جميع المخلوقات

٣- ميثوديوس السيراقوسي (+٨٦٦م.):

وُلد في سِيرَقُوسة Συρακούσα

ذهب وهو شابٌ علماني إلى القسطنطينية، وشارك هناك في الدفاع عن الأيقونات، فاضطُهد وعُذِّب، ويُعتبر ميثوديوس من المعترفين

أصبح بطريركاً في القسطنطينية (٨٤٣-٨٤٧ م.)، أيام الأمبراطورة ثيوذورة، وكان رئيس المجمع الذي أعاد إكرام الأيقونات (٨٤٣ م.)

نصوص:

ذكصا إينوس ٢١ أيار:

باللحن الثامن

إنَّ ملك الملوك وإلههم، المزيّن المستحقين بالمواهب الغنية، قد اصطادكَ يا قسطنطين، بعلامة الصليب من السماء، مثل بولس الدائم الذكر، قائلاً: إنّك بهذا تغلب أعداءكَ، فلمّا التمسته مع أمّك المتألّهة العزم، ووجدته حسب رغبتكَ، قهرتهم بالكلية، فمعها ابتهل إلى المحبّ البشر وحده، من أجل الملوك المستقيمي الرأي، والجنود المحبّي المسيح، وجميع المقيمين تذكارك بإيمان أن ينقذهم من كلّ شدّة

٤- أوريستيس الأورشليمي:

لمع في القرن الحادي عشر، وكان تلميذاً لسابا الصقلّي، الذي من كالفريّا

أصبح بطريركاً في أورشليم (١٠٠٠-١٠١٢ م.)، وعُرف أيضاً باسم إرمياء. إنَّه ينتمي إلى مدرسة الإيطاليين اليونان

كتب قنداقاً للقديس بندلايمون، وآخر للقديس سابا الجديد، ومكاريوس الجديد، وكذلك ١٥ ثيوطوكية

نصوص:

ثيوطوكية

عليكِ وضعتُ رجائي أيتها البتول

وأضرع إليكِ من النفس والقلب

أن تحفظيني يا أمَّ الإله

من كلّ ضيقٍ وشدّة

٥- أرسانيوس الأنطاكي:

إنَّه أخ لميثوديوس الأورشليمي، وينتمي إلى مدرسة الإيطاليين اليونان، وتلميذ لسابا الصقلّي

كتب قناديق لكليمندس أسقف روما، وبطرس الاسكندري، والقديسة تقلا، ومرقس الإنجيلي، وفيليبس الرسول

نصوص:

قنداق لكليمندس بابا روما وبطرس بطريرك الاسكندرية (٢٤ تشرين الثاني):

''A´''

يا كليمندس وبطرس الكلّيا المديح

بما أنّكما برجان إلهيان للكنيسة،

غير متزعزعَين، وعمودان شريفان

عزيزان لحسن العبادة، احرسا

الجميع بشفاعاتكما

٦- نيلوس رئيس دير كريبتوفارّيس (+ ١٠٠٥م.):

إنّه مؤسّس دير كريبتوفارّيس Κρυπτοφέρρης، وقد أسّسه عام ١٠٠٤ م.، وأصبح هذا الدير مركزاً للعلم والنظم الكنسي

دعاه مرّةً الرهبان البنديكتان، الذين في جبل كاسِّينُسْ Κασσίνος، إليهم وطلبوا منه أن يقوم بالخدمة الإلهية في ديرهم، باللغة اليونانية، فأقام سهرانية كاملة بمساعدة جوقة ديره، من ترانيمَ من نظمه للقديس بنديكتوس. ومنذ ذلك الحين، تقام هذه الخدمة في كنائس إيطاليا وأديرتها

نصوص:

إستيشيرا للقديس بنديكتوس:

باللحن الثامن (وزن اوتو باراذكصوثافمتوس)

أيُّها الأب المجيد بنديكتوس، لقد

حملتَ على منكبيك صليب المسيح،

وعشقتَ السكنى في المغاور والجبال

والبراري وكهوف الأرض، متحلّياً

بالإمساك والصلاة وعدم القنية.

فظهرتَ إناءً عَطِراً للروح الخالق

الكلّ، أيُّها الدائم الذكر

٧- بولس رئيس دير كريبتوفارّيس:

كان تلميذاً لنيلوس، وأصبح رئيساً لدير كريبتوفارّيس. كتب قنداقاً لنيلوس الجديد، وآخر للقديس مارتينوس، وقانوناً للقديس نيلوس الجديد أيضاً

وهكذا نرى أنّ دير كريبتوفارّيس قد احتلّ مكاناً هاماً في النظم الكنسي، فقد عُرف منه شعراء وناظمون كثيرون

لكنّ هذه التسابيح لم تدخل في الخدم البيزنطية، فقد بقيت خارج الاستعمال الطقسي، ولم تُدرج ضمن الكتب الليتورجية

الفصل الرابع

الحقبة الرابعة (القرون ١١ وما بعده)

دخل النظم الكنسي مرحلةً جديدةً بعد القرن الحادي عشر، فقد توقّف التألّق في النظم في تلك الفترة، وتثبّتت، نوعاً ما، الكتب الليتورجية

لكنَّ السنوات اللاحقة للقرن الحادي عشر لم تخلُ من ظهور تسابيح جديدة، وخاصةً بسبب ظهور قديسين جدد

وإنَّ ما يميّز هذه الحقبة لهو تقاريظ جنَّاز السيّد المسيح

١- يوحنا مافْرُوبُوس (الأسود القدمين) Μαυρόπους:

سُمّي "مافْرُوبُوس" بسبب لون قدمَيْه الأسود. ينحدر من بافْلَغُونيّة Παφλαγονία، وعاش في القسطنطينية

أسّس في القسطنطينية مدرسةً خاصة، ومن ثم تعاون مع تلميذَيه ميخائيل ويوحنا، لتجديد جامعة القسطنطينية. أصبح أستاذ الخطابة عام ١٠٤٥ م.، ثم أصبح راهباً وكاهناً منذ العام ١٠٤٦ م.، فأسقفاً على إِفْخَاييتا Εὐχαΐτων منذ عام ١٠٤٨ م. توفي بعد عام ١٠٥٥ م. بقليل

هو الذي أدخل عيد الأقمار الثلاثة إلى التقويم الكنسي (٣٠ كانون الثاني)، ودوَّن القانونَين الموجودَين في الخدمة

وهو الذي نظم قانون الملاك الحارس أيضاً (الموجود في السواعي)

نصوص:

١"- الأودية التاسعة من قانون الأقمار الثلاثة (٣٠ كانون الثاني):

عظّمي يا نفسي الثلاثة الكواكب العظيمة في رؤساء الكهنة:

ها إنَّ فلاحتكم ورعيتكم، التي من أجلها

قد تحمّلتم المشاق العظيمة، تلتئم معاً إلى

واحد، متّخذةً إياكم أيُّها الثلاثة و

مقدّمةً لكم مديحاً مشاعاً لأجل اتحادكم البهيج

عظّمي يا نفسي المصابيح الثلاثة لكنيسة المسيح:

إنَّ النعمة لم تتّخذ سيفاً ذا فمين على

محاربيها، بل ذا ثلاثة أفواه، أعني

حسامٌ منضَّضٌ من السماء، ومرهفٌ بحدٍّ

مثلّث، مناضلٌ على الدوام عن الثالوث

الواحد المثلّث الشعاع.

٢" - طروبارية الأقمار الثلاثة:

باللحن الأول

هلمّوا بنا لنلتئم جميعاً، ونكرم بالمدائح،

الثلاثة الكواكب العظيمة للاهوت المثلّث

الشموس، الذين أناروا المسكونة بأشعة

العقائد الإلهية، أنهار الحكمة

الجارية عسلاً، الذين روَّوا الخليقة

كلها بمجاري المعرفة الإلهية، أعني

بهم باسيليوس العظيم، وغريغوريوس

المتكلّم بالإلهيات، مع يوحنا المجيد

الذهبي اللسان، لأنهم يتشفعون إلى

الثالوث من أجلنا، نحن المحبين أقوالهم

٢- يوحنا زوناراس (+١٠٤٨م.):

كان أمين سر الأمبراطور ألكسيوس كوفينوس، ولكنه غادر القسطنطينية متجهاً إلى جبل آثوس، حيث صار راهباً، وتوفي هناك

كتب يوحنا بالإضافة إلى أعماله التاريخية والقانونية، أشعاراً وتسابيح أيضاً، تتعلّق بانبثاق الروح القدس (ضدّ اللاتين)، كما دوَّن قانوناً عقائدياً يتعلّق بالعذراء، تناول في كلّ طروبارية من طروباریاته هرطقةً من الهرطقات

٣- يوحنا ثيقارا:

راهب ينحدر من القسطنطينية، عاش أيام الحملات الصليبية. ولهذا نرى قوانينه تذكر الاضطهاد الحاصل في القسطنطينية من قِبَل الصليبيين. ويعود إليه ٢١ قانوناً

٤- ثيودورس لاسكاريس (+ ١٢٥٨م.):

ثيودورس الثاني لاسكاريس، صار أمبراطوراً على نيقية (١٢٥٤- ١٢٥٨م.). وكان تلميذاً لنيكيفوروس فْلِيمِّيذو، وجاورجيوس أَكْروبولِيتو

قام بحملات ناجحة ضدّ البلغار، توفي عام ١٢٥٨ م.، ودفن في دير سُوسانذْرون Σωσάνδρων. كتب "ثماني مقالات في اللاهوت المسيحي"، و "مقال دفاعي"، وأموراً أخرى أخلاقية، ونظم قوانين للعذراء، وهو الذي نظم قانون البراكليسي الكبير

نصوص:

من قانون البراكليسي الكبير باللحن الثامن:

أرمس الأودية الأولى

إنَّ عصا موسى قديماً صنعت معجزةً، لما ضربت اليمَّ

شكل صليب، وشقته ففرّقت فرعون مع مركباته،

وأمَّا اسرائيل الهارب ماشياً فقد خلصته مرتّلاً لله تسبيحاً

طروباريات

إنَّ نفسي الذليلة من شدّة ترادف الأحزان، قد

أشرفت على الغرق، وسحابة المصائب قد حجبت

قلبي، فيا أيتها النقية عروس الله، يا مَنْ

ولدتِ النور الإلهي الذي قبل الأزل،

أطلعي لي نوراً مفرّحاً

يا كلية الطهارة، إنّني إذ نجوت من الأحزان والضيقات

التي لا تحصى، ومن الأعداء الأشدّاء، ومن نكبات

العمر، بقوتكِ العزيزة، فأعظّم وأسبّح

إشفاقكِ عليَّ، وتعزيتكِ التي لا تحدّ

إنّني ألتجئ الآن إلى نصرتكِ العزيزة واثقاً

بها، وأبادر من كلّ نفسي مسارعاً نحو

سترككِ أيتها السيدة، وأحني ركبتيَّ، وأنوح

متنهداً، فلا تعرضي عني أنا الشقي، يا رجاء

المسيحيين وملجأهم

لن أصمتَ بأن أهتفَ علانيةً كارزاً

بعظائمكِ أيتها النقية، لأنّكِ لو

لم تنتصبي كلَّ حينٍ أمام ابنكِ وإلهكِ

متشفعةً من أجلي، فمَنْ كان ينقذني

من هذا العاصف، والشدائد المستصعبة جداً

خلّصي عبيدكِ من الشدائدِ يا والدة

الإله، لأنّنا كلّنا بعد الله

إليكِ نلتجئ، كمثل حصنٍ لا ينشقّ

ولا ينصدع وشفيعة

أنظري بإشفاقٍ يا والدة الإله

الكلّية التسبيح إلى شقاء أجسادنا

الصعب، واشفي أوجاع نفوسنا

٥- تقاريظ السبت العظيم:

إنَّ هذا النمط الشعري، الذي يرتَّل في سَحَر السبت العظيم (مساء الجمعة العظيمة)، في خدمة آلام السيد، هو نمط أنديفوني على محطات ثلاث. وقد تأتَّى هذا النمط من شكل المزمور ١١٨ "طوباهم"، الذي يرتَّل أساساً مع التقاريظ

لقد دخلت التقاريظ إلى الكتب الليتورجية، من أواسط القرن الخامس عشر وحتى أواسط القرن السادس عشر. وإنَّ واضعها بالطبع مجهول

نصوص:

١"- مقاطع من المحطة الأولى:

باللحن الخامس

يا يسوع الحياة	**في قبرٍ وُضعتَ**
فالجنود السماوية انذهلت	**كلّها ومجّدت تنازلك**
كيف متَّ يا ربّ	**وسكنتَ القبر**
غير أنَّكَ حللت سلطان الموت	**منهضاً من الجحيم المائتين**
إياك نعظّم	**يا يسوع الملك**
ونكرّم الآلام التي بها	**وبدفنكَ خلصتنا من الفساد**

٢"- مقاطع من المحطة الثانية:

باللحن الخامس

نعظمكَ	**باستحقاقٍ يا معطي الحياة**
يا مَنْ بسط يديه على الصليب	**ساحقاً قدرة سلطان العدو**

نعظمكَ	**باستحقاقٍ يا خالق العالم**
فبآلامكَ نلنا كلّ شفاء	**ونجونا كلّنا من الفساد**
أيها المسيح	**المخلّص النور الذي لا يغرب**
حينما غبت في قبرٍ بجسدك	**أرضنا مادت وشمسنا اختفت**

٣"- مقاطع من المحطة الثالثة:

باللحن الثالث

كامل الأجيال	**تقرّب التسبيحا**	**يا مسيحي لدفنك**
يوسف الرامي	**عن الصليب أحدرك**	**وفي قبرٍ أضجعك**
حاملات الطيب	**أهدت لك الطيوبا**	**بشوق يا مسيحي**

ينتمي إلى هذه الفترة كتّاب وناظمون آخرون، مثل ديمتريوس خوماتيانُوس، الذي عاش في أواخر القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر، وقسطنطين كاباسيلاس ميتروبوليت تيفيريوبوليس Tiveriopolis الذي عاش في القرن الثالث عشر، وسمعان التسالونيكي الذي كتب قوانين وأناشيد ثلاثية Τριῴδια للقديس ديمتريوس (الذي كان يُعيَّد له مدة أسبوع كامل في تسالونيك)، ونيكيفورس كاليستوس الذي عاش في أواسط القرن الرابع عشر وكتب خدمة ينبوع الحياة التي ترتَّل يوم الجمعة من أسبوع التجديدات في فترة البنديكستاري، وفيلوثيوس القسطنطيني (+ ١٣٧٦م.)، الذي نظم خدمة آباء المجمع المسكوني السادس (١٣ حزيران)، وخدمة غريغوريوس بالاماس (الأحد الثاني من الصوم)، وكذلك قانون ٢٦ تشرين الأول وقانون ١٣ تشرين الثاني، ومرقس الأفسسي (+ ١٤٥١م.) الذي نظم قوانين مختلفة، ونيقولاوس الكاهن فلاكسوس، الذي عاش في القرن

السادس عشر، وكتب العديد من التسابيح، منها لذكرى القديس ميتروفانيس (٤ حزيران)، كما دوَّن خدمة الساعات الكبيرة في البنديكستاري (ولكنَّ هذه الخدمة لم تدخل في الاستعمال الليتورجي)

المراجع

- Baumstark, A., Liturgie Comparée, Belgique, 1939.
- Bouvy, Ed., Poètes et mélodes. Etude sur les origines du rhythme tonique dans l'hymnographie de l'église grecque, Nimes, 1886.
- Cabrol, F., l'hymnographie de l'église grecque, 1893.
- Christ, W., et Paranikas, M., Anthologia graeca Carminum christianorum, Lipsiae, 1871.
- Don Hugues Gaïsser, Les Heirmoi des Pâques dans l'office grec. Etude rythmique et musicale, in Oriens Christianus, 3', 1903.
- Δραπανιώτη 'Ανασ., ἱερέως, 'απλές ματιές στόν 'Ακάθιστον "Υμνον. Γ΄ ἔκδοσις, 'Αθῆναι, 1970.
- Δρατσέλλα, Κωνστ., 'Η Θεοτόκος καί ὁ 'Ακάθιστος "Υμνος, Τρίκαλα 1957.
- 'Ενισλείδου, Χρήστου, 'Η ἀκάθιστος εἰς τήν Θεοτόκον ὑμνωδία ἤ ἡ ζαλμωδία τῶν χαιρετισμῶν τῆς Θεοτόκου, Θεσ/νίκη, 1966.
- Φυτράκη,' Α., 'Η 'Εκκλησιαστική ἡμῶν ποίησις κατά τας κυριωτέρας αὐτῆς φάσεις, 'Αθῆναι, 1957.
- Φυτράκη, 'Α., Σημειώσεις 'Υμνολογίας, 'Εκδόσεις Φοιτητικοῦ Θεολογικοῦ Συνδέσμου, 'Αθῆναι, 1970.
- Κωνσταντινίδου, 'Ι., 'Υμνολογία, 'Αθῆναι, 1979.
- Κωνσταντινίδου Ιω., 'Υμνολογία,' Αθῆναι, 1979. Π. 61-84.
- Κωνσταντοπούλου, Ν., 'Η ἀρχαία ἑλληνική μετρική ἐν τῇ βυζαντινῇ λειτουργικῇ ὑμνογραφίᾳ,' Αθῆναι, 1955.
- Κρουμβάχερ-Σωτηριάδου, 'Ιστορία τῆς Βυζαντινῆς λογοτεχνίας, Τ.Β΄.' Αθῆναι, 1910.

- Wellesz, E., A history of Byzantine Music and Hymnography, Oxford, 1961².
- Ξύδή, Θεοδ., Βυζαντινή ῾Υμνογραφία, ᾽Αθῆναι, 1978.
- Ξύδη, Θεοδώρου, ῾Ο ᾽Ακάθιστος ῞Υμνος , ὡς ποιητικε κείμενο, ᾽Ακτῖνες , Ι΄ 1947, Π. 309-313 καί 408-414.
- Ξύδη, Θεοδώρου, ῾Η μετρική τοῦ ᾽Ακαθίστου ῞Υμνου, ῾Αθῆναι, 1956.
- Χρήστου, Π., ῾Η ῾Υμνογραφία τῆς ἀρχαῖκῆς ᾽Εκκλησίας, Θεσσαλονίκη, 1959.
- Χρήστου, Π., ῾Η γένεσις τοῦ κοντακίου, "Κληρονομία", ΣΤ΄ 1974, σ. 273-349.

- Μητσάκη, Κ., Βυζαντινή ῾Υμνογραφία, Τ. Α΄· ἀπό τήν Κοινήν Διαθήκη ἕως τήν Εἰκονομαχία, Θεσνίκη, 1971.
- Παντελάκη, Εμμ., Κοντάκια καί κανόνες τῆς ᾽Εκκλησιαστικῆς ποιήσεως, ῾Αθῆναι, 1919.
- Παντελάκη, Εμμ.,῾Η δημώδης ῾Εκκλησιαστική ποίησις τῶν Βυζαντινῶν, "Θεολογία", ΙΑ΄ 1933, σ .5-16, 106-127.
- Παντελάκη, Εμμ., Αἱ ἀρχαί τῆς ἐκκλησιαστικῆς ποιήσεως. "Θεολογία", ΙΕ΄ 1937, σ. 323-339. ΙΣΤ΄ 1938, σ. 5-31.
- Παπαδοπούλου, Ε., Συμβολαί εἰς τήν ῾ιστορίαν τῆς παρ΄ ἡμῖν ἐκκλησιαστικῆς μουσικῆς,῾Αθῆναι, 1890.
- Παπαδοπούλου, Κεραμέως, ᾽Ανάλεκτα ῾Ιεροσολυμιτικῆς Σταχυολογίας Τ. 1-5. Πετρούπολις,
- Pètridès, S., Notes d'hymnographie byzantine, "Byzantinische Zeits-chrift", 1904.
- Pitra, J., Hymnographie de l'église grecque, Rome, 1867.
- Pitra, J., Analecta Sacra, T.I. Paris, 1876.
- Σετάκη, Θεοκλήτου, ὁ ὕμνος τῆς ᾽Ακαθίστου ᾽Ακολουθίας, Βέροια, 1966.
- Σταματάκη, πλάτωνος, ᾽Εκκλησιαστική ἥ Βυζαντινή ῾υμνολογία καί ἀκαλυτική ἑρμηνεία τοῦ ᾽Ακαθίστου ῞Υμνου, ἔκ. Β΄, ῾Αθῆναι, 1949.
- Τωμαδάκη, Νικ., Συλλάβιον Βυζαντινῶν μελετῶν καί κειμένων, τεῦχος Α΄ (῾Η ῾ακάθιστος ἑορτή καί ὑμνλογία της), ῾Αθῆναι, 1964.
- Τωμαδάκη, Ν., ῾Η Βυζαντινή ὑμνογραφία καί ποίησις, εἰσαγωγή εἰς τήν Βυζαντινήν φιλολογίαν. Τ.Β΄.Γ΄ ῞Εκδοσις, ᾽Αθῆναι, 1965.
- Θεοδώρου, ᾽Ανδρέου, ῾Η κόρη τῆς Βασιλείας. Σχόλιον θεολογικόν εἰς τόν ᾽Ακάθιστον ῞Υμνον,῾Αθῆναι,1970.
- Θεοδοροπούλου,᾽Επιφανίου,῾Ο ᾽Ακάθιστος ῞Υμνος μετά ἑρμηνείας, ῾Αθῆναι, 1969.
- Τρεμπέλα, Π. ᾽Εκλογή ῾Ελληνικῆς ᾽Ορθοδόξου ῾Υμνογραφίας, ᾽Αθῆναι, 1978 (Β΄῞Εκδοσις).

دراسات ليتورجية

صدر:

١- مدخل إلى الأشكال الليتورجية (الليتورجيات)

٢- خدمة الخطبة والإكليل بين الماضي والحاضر

٣- دليل في ترتيب الخدم والصلوات

٤- المصادر الليتورجية

M P